

رسائل الملوك في المقر

د. عبد العاطي عبد المجيد منتصر

كلية اللغات والترجمة

ملخص البحث

رسائل الملوك في المقر

تعد الرسائل من أفضل الوسائل التي توصل إليها الإنسان ليوفر بها الاتصال عن بعد بينه وبين بني جنسه. لذا فقد ازدهرت في كل العصور بعد معرفة الأمم الكتابة ، لأن الشكل التدويني للرسالة هو الذي يحفظ لها بقاءها وتوارثها . وهي مكن سر صاحبها ؛ فهو يسجل فيها ما تمليه الحوادث والظروف وحاجاته الوقتية ، ومن ثم فهي تعكس حقيقة الواقع اليومي الذي كان يعيشه صاحبها دون زيف . كما تقدم واقعاً حقيقياً للوضع السياسي والاجتماعي في زمن كتابتها.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة رسائل الملوك التي وردت في أسفار المقر للتعرف على أخبار اليهود خلال تلك الفترة التي تناولتها هذه الأسفار . ويقوم البحث على ثلاثة محاور : نعرض في أولها نظام التراسل عند اليهود ، ونبين في ثانيها البناء الأدبي الذي قامت عليه رسائلهم ثم نحلل في آخرها مضمون رسائلهم .

Royal Correspondence in the "Miqra"

Dr. Abdul Aati A. Montasir

Abstract:

Letters are among the best channels of human communication. The writing of such epistles or letters has flourished throughout history even since writing was invented because letters and epistles can only be preserved and passed on to posterity through the written form. Agains they reflect the personality and particularly traits of their authors who register in them his attitude towards events, his special needs idiosyncrasies. Hence they present a real picture of political and social circumstances, which prevail art, the time drafting.

The present paper an attempt to study the letters reciprocated by kings as chronicled in the books of "Miqra" in order to know the news of Jews during the period dealt with in these books. It revolves around three pivotal themes; the first deals with the system of correspondence of Jews. The second described the literary structure of these letters. The third provides an analytical study of the content of these letters.

تـهـد

بعد التراسل أو أدب الرسائل واحداً من أقدم الأنواع الأدبية الثرية وأعرقتها عند الأمم القديمة على حد سواء ، وهو يمتاز إلى جانب ذلك بميزة أخرى هي الاستمرار ، ذلك لأن الرسالة بطبيعتها من أفضل الوسائل التي توصل إليها الإنسان ليوفر بها الاتصال عن بعد بينه وبين بنى جنسه ، لذا فقد ازدهرت في كل العصور بعد معرفة الأمم للكتابة ، لأن الشكل التدويني للرسالة هو الذي يحفظ لها بقاءها وتوارثها جيلا بعد جيل .

وقد كشف الأثريون في حفرياتهم عن الكثير من رسائل الشرق الأدنى القديم ، فعثروا على رسائل في "مارى ، وتل العمارنة(١)" كانت في مجملها رسائل رسمية ، أرسلها ملوك إلى أقرانهم في الممالك الأخرى أو إلى موظفيهم في أقاليمهم(٢) .

وتعكس برديات المصريين القدماء مدى قدم فن التراسل عندهم ، ومدى براعتهم فيه ؛ فقد عثر علماء المصريات على الكثير من البرديات التي يعود تاريخها إلى الدولة القديمة مروراً بالدولة الوسطى فالحدثة ، والتي تبين مدى حرصهم على إتقان كتابة الرسائل والاهتمام بتنميق أساليبها ، بل الحرص على تعليم فن كتابتها لأولادهم(٣) . وتكشف رسائل تل العمارنة عن مراسلات بين أمراء مدن سوريا وفلسطين وبين إخناتون فرعون مصر ، يضحجون فيها بالشكوى من إهمال الفرعون لهم ويغذرونه من الخطر الذي بدأ يدق أبواب بلادهم دون أن يحرك ساكناً للقضاء على عوامل الفتن والثورات التي تفشت في مراكز بلادهم الأمامية ، وتصف تلك المراسلات مدى ما وصل إليه الحال من خطورة في عصر إخناتون(٤) .

وكان المصري القديم دقيقاً غاية الدقة في تحديد مسميات الرسائل الشخصية التي يتبادلها أفراد الشعب والرسائل الرسمية التي كانت تجري بين كبار موظفي الدولة ، أو التي كان فرعون يأمر بكتابتها . ففي الدولة القديمة كان المصري يستعمل كلمة "بجات" للدلالة على كل رسالة ، غير أن هذه التسمية قد فقدت معناها الأصلي وأصبحت تدل على معنى "البردية" أو "الكتاب" أو "الوثيقة" على وجه عام في عهد الدولة الحديثة .

ومسند الدولة الوسطى حتى باكورة الأسرة التاسعة عشرة كان المصري القديم يستعمل كلمة "سش" للدلالة على معنى كلمة "الرسالة" إلى جانب معناها العام الذي كان يدل على معنى "الوثيقة المكتوبة". وفي عهد الدولة الحديثة استعمل المصري كلمة "شعث" للدلالة على معنى الرسالة الشخصية (٥). أما الرسائل الرسمية التي كانت تصدر عن الفرعون أو ولي عهده أو أحد كبار موظفي الدولة فكانت تسمى "وخا" إلى جانب كلمة "وستن" (٦).

وقد اهتم المصريون القدماء بنظام البريد اهتماماً عظيماً ، فكان لديهم السعاة الذين يحملون الرسائل إلى مستحقيها ، كما اهتموا بالرسائل إلى البلدان الأجنبية ، فزودوا السعاة بالجياد وأعدوا لهم محاطا يستريحون فيها من مشقة الطريق ، ويتناوبون فيها حمل الرسائل إلى البلدان البعيدة، فكان لهم بذلك قصب السبق في إيجاد أول نظام للبريد في الحضارات الإنسانية القديمة (٧).

كما عرف أهل الرافدين التراسل فيما بينهم ، وكانت مهمة نقل رسائلهم تقع على عاتق بعض الأشخاص الذين كانوا ينقلونها شفاهة ، حتى وإن كانت مدونة ، إلى المرسل إليه . وربما كان السبب في ذلك يرجع إلى أن غالبية أهل الرافدين لم يكونوا من الملمين بالقراءة مما كان يدفعهم إلى الاستعانة بخدمات المتعلمين لمساعدتهم على معرفة محتويات رسائلهم (٨) .

وتسمح رسائل أرض الرافدين بإعادة تكوين فصول معينة من تاريخ أهل هذه المنطقة ، التي أهملتها الكتابات الملكية ، التي تبين كيف كانت الحكومة المركزية تطلع أولاً بأول على ما يجري من أحداث على الحدود في الدول المجاورة (٩) .

ويهدف هذا البحث إلى دراسة رسائل ملوك بني إسرائيل من ناحيتين هما البناء الأدبي والمضمون ، وغرضنا من ذلك هو الوقوف على مدى التأثيرات الأجنبية التي تأثر بها اليهود خلال تلك الفترة الزمنية التي يتناولها كتابه المقدس ، وبيان ما كان عليه البلاط الملكي عندهم من فساد أخلاقي وديني ، والصراعات التي كانت تدور بين ملوكهم من

ناحية وتلك التي كانت تقع بين ملوكهم وبين ملوك الممالك المجاورة . وقد دعت الضرورة إلى تقسيم هذا البحث إلى نقاط ثلاث هي :

١ . نظام التراسل في المقدس . وتتضمن هذه النقطة دراسة أسماء الرسائل وأشكالها والشروط التي يجب توافرها في حاملها .

٢ . دراسة البناء الأدبي لرسائل ملوك بني إسرائيل وعلاقته بالبناء الأدبي في رسائل الشرق الأدنى القديم .

٣ . مضمون رسائل ملوك المقدس ، للوقوف على ما اشتملت عليه من أسرار تعكس ما كان عليه البلاط الملكي من فساد ديني وأخلاقي ، والصراعات التي كانت تدور بين ملوكهم من ناحية وبين ملوكهم وملوك الممالك المجاورة من ناحية أخرى .

أولاً : نظام التراسل في المقدس

من يتصفح أسفار المقدس يدرك أن بني إسرائيل قد عرفوا التراسل فيما بينهم ، وفيما بينهم وبين ملوك الشعوب المجاورة الذين فرضت الظروف السياسية - آنذاك - التعامل معهم ومخاطبتهم . ولم ينقل كتاب المقدس صورة واضحة لنظام تراسلهم (١٠) ، لكننا نعرف من أخبارهم أنهم قد عرفوا التراسل فيما بينهم في وقت مبكر للغاية . وربما كانت رسالة يعقوب التي ورد ذكرها في سفر التكوين هي أول رسالة شفوية في المقدس (١١) ، كما تراسل موسى عليه السلام ، مع ملكي الأدوميين والأموريين يسألها أن يسمح له ولئن معه المرور في أراضيها (١٢) .

وتظهر أول رسالة مدونة بعد قيام مملكتهم ، إذ ينقل كاتب سفر صموئيل الثاني خبر أول رسالة مدونة أرسلها داود إلى قائد جيشه (١٣) .

وتستمر أخبار التراسل عندهم بعد انقسام المملكة ، ليروي كتاب المقدس أن بعضاً من زوجات الملوك اعتدن كتابة الرسائل نيابة عن أزواجهن واعتمادها بأختامهم ، على النحو الذي فعلته "إيزابل - **אִיזַבֵּל** * " زوجة "أحآب - **אַחָאב** * " ملك إسرائيل " في

رسالتها إلى شيوخ يزريثيل (١٤) . كذلك اعتاد ملوك بني إسرائيل تبادل الرسائل فيما بينهم ، عندما كان الصراع يشتد بين المملكتين ، وتطمع إحداها فيما لدى الأخرى ، فكانت الرسائل هي الوسيلة المثلى للتخاطب والاتصال فيما بينهما ، وقد نقل لنا كاتب سفر الملوك الثاني خبر الصراع بين "أمصيا* - יְמַיָּא" ملك يهوذا و "يهوآش** - יְהוֹאָשׁ" ملك إسرائيل وتبادل الرسائل فيما بينهما (١٥) .

كما كانت الرسائل وسيلة الاتصال بين ملوك الشعوب المجاورة وملوك بني إسرائيل ، فيحكى كاتب سفر الملوك الثاني أن ملك أشور قد أرسل رسولا من لدنه إلى "حزقياهو*** - חֶזְקִיָּהוּ" ملك يهوذا ، يطلب منه الاستسلام وعدم مقاومته (١٦) ، وبعد أن استولى نبوخذنصر على أورشليم وأجلى أهلها إلى بابل ، نجد من أنبيائهم من يحرص على مراسلة اليهود في بابل لإخبارهم بأوامر ربهم (١٧) .

وتستمر الرسائل وسيلة الاتصال الوحيدة بين اليهود في الأمصار المختلفة في الإمبراطورية الفارسية ، لكنهم تراسلوا في هذه الفترة على النحو الذي تراسل به الفرس ، فيحكى كاتب سفر إستير أنها قد كتبت عددا من الرسائل إلى اليهود في كل أنحاء الإمبراطورية الفارسية تبشرهم فيها بخلاصهم مما حاكه لهم "هامان - הָמָן" وتطلب منهم أن يدافعوا عن أنفسهم ويقتلوا كل من يتعرض لهم في الممالك التي كانوا يعيشون فيها ، وقد ختمت هذه الرسائل بخاتم الملك وأرسلتها عن طريق السعاة راكبي الخيل (١٨) . ويشتمل سفر عزرا على عدد من الرسائل التي كان يتم تبادلها بين خصوم اليهود وحاكم البلدان الواقعة غرب نهر الفرات وبين ملوكهم من الفرس وردودهم عليها ، وهي تعكس لنا قصة الصراع بين اليهود وخصومهم حول إعادة بناء الهيكل وأورشليم بعد أن سمح كورش* لليهود بفعل ذلك (١٩) .

ويمكننا أن نرسم صورة لنظام للتراسل عند بني إسرائيل إذا ما تناولنا الأسماء التي أطلقوها على رسائلهم وأشكال تلك الرسائل والأسماء التي أطلقوها على حاملها ، وذلك على النحو التالي :

١. أسماء الرسالة في المقرا

استخدم العبريون القدماء عدداً من الأسماء للدلالة على معنى الرسالة المدونة ، هي "ספר מכתבי אגרותי נשתון" ويعتبر الاسم "ספר" (٢٠) أقدم الأسماء التي استخدموها للدلالة على معنى الرسالة المدونة وأكثرها انتشاراً . بل هو الاسم الوحيد من بين الأسماء التي تؤدي معنى الرسالة ، الذي يرد في أسفار المقرا التي ترجع أحداثها إلى فترة ما قبل جلائهم إلى بابل ، للدلالة على هذا المعنى (٢١) .

وإذا كانت مادة هذا الاسم لا ترد في لغة المقرا مشتملة على معنى الإرسال (٢٢) ، فإن هناك من الباحثين من ذهب إلى القول بأن الاسم "ספר" بمعنى "الرسالة" قد استعير من اللغة الآشورية التي يرد فيها الاسم "shipru" بمعنى "إرسال خطاب" ؛ والفعل "shaparu" للدلالة على معنى "أرسل خطاباً إلى شخص ما" سواء كان ذلك شفاهة أو كتابة أو بالطريقتين معاً (٢٣) . ويمكن أن يتأكد هذا الرأي إذا أخذنا في الاعتبار أن كُتَاب المقرا كانوا يذكرون الفعل "שָׁלַח" بمعنى "أرسل" في المواضع التي يرد فيها الاسم "ספר" ، بما يمكن أن يعطي انطباعاً عاماً بتلازم الكلمتين معاً ، إذا أراد الكاتب التعبير عن إرسال الرسالة ، وهو الأمر الذي يدل على أن بني إسرائيل قد استخدموا هذا المصطلح للدلالة على معنى الرسالة متأثرين في ذلك بالآشوريين . وقد أشار البعض إلى أن معرفة الخط والرسائل قد جاءت أرض كنعان عن طريق أرض السرافدين (٢٤) ، مما يجعلنا نميل إلى الأخذ بما ذهبنا إليه في هذا الصدد . لكن هناك من الباحثين من يميل إلى الأخذ بالرأي القائل بأن هذا الاسم قد اشتق من معنى فعله "ספר" "الدال على معنى "حز الشعر" وخاصة عن جلد البهيمة ، وهو الذي كان بنو إسرائيل يستخدمونه في الكتابة عليه (٢٥) .

وبعد عودة بني إسرائيل من بابل نجدهم قد استخدموا كلمة "מִכְתָּב" للدلالة على معنى الرسالة المكتوبة . وقد كانت هذه الكلمة تدل في البداية على معنى الخط المنقوش أو المكتوب (٢٦) ، ثم اكتسبت معنى الشيء المكتوب بعد عودة اليهود من بابل ؛

فصارت تدل على معنى الوثيقة الملكية (٢٧) ، إلى جانب معنى الرسالة المكتوبة (٢٨) .
ويبدو أن هذه الكلمة قد اكتسبت معناها الجديد تحت تأثير اللغة الآرامية التي يرد فيها
الاسم "כחב" للدلالة على المعنى نفسه (٢٩) .

وخلال الحكم الفارسي للمنطقة استخدم بنو إسرائيل كلمة "אִגְרִי" للدلالة على
معنى الرسالة المكتوبة التي تتصف بصفة الرسمية أو ما يمكن تسميتها بالرسائل الديوانية)
(٣٠) . وقد حاول البعض تفسير معنى هذا الاسم ، فذهب بعضهم إلى القول بأنه مشتق
من الفعل "אגר" الذي يدل على معنى الأجر الذي يدفع لحامل الرسالة (٣١) . وذهب
آخرون إلى أنه اسم فارسي الأصل ، إلا أنهم لم يشيروا إلى الكلمة الفارسية التي استُعير
منها (٣٢) .

ونحن لا نميل إلى اعتبار هذا الاسم من الأسماء التي استعارتها اللغة العبرية من اللغة
الفارسية . فوروده في الأسفار التي تدور أحداثها خلال الحكم الفارسي ، لا يعني
بالضرورة أن تكون العبرية قد استعارته من الفارسية . ونحن نعرف أن الفرس ، عندما
استولوا على بابل ومنطقة الشرق ، استعملوا اللغة الآرامية التي كانت شائعة في تلك
المنطقة ، وجعلوا منها لغة للتفاهم بين الشعوب التي خضعت لهم ، ثم صارت لغة
للمكاتبات الرسمية فيها . أضف إلى ذلك أن الاسم الذي يدل على معنى الرسائل الرسمية
في الآرامية هو "אִגְרָא" في حال الإطلاق و "אִגְרִיפָא" في حال التعريف (٣٣) ، لذا
فإننا نميل إلى الاعتقاد بأن الاسم آرامي الأصل . وقد دخل إلى أسفار المقرأ بعد أن
استعان اليهود باللغة الآرامية ، وجعلوا منها لغة للتفاهم فيما بينهم ، خلال فترة جلائهم
في بابل وسنوات الحكم الفارسي للمنطقة . وتجدر الإشارة إلى أن هذا الاسم يرد أيضاً
في بعض اللغات السامية الأخرى ، كالأشورية التي يرد فيها على وزن "egirtu" على
نفس المعنى ، مما يؤكد سامية هذا الاسم (٣٤) .

وإلى جانب هذا الاسم استعان اليهود بالاسم "בִּשְׁתָּן" للدلالة على معنى الرسالة
المدونة ، وهو اسم مشتق من الكلمة الفارسية "بشتن أو بوشتن" التي تدل على معنى
"الكتابة" ، ويرد اسم المفعول منها على وزن "نوشته" للدلالة على معنى "مكتوب أو

خطاب" (٣٥) . وقد دخل إلى اللغة العبرية في المقرأ خلال فترة الحكم الفارسي لبابل ، لذا نجده لا يرد سوى في الأسفار التي تدور أحداثها خلال هذه الفترة (٣٦) .

٢. أشكال الرسائل في المقرأ

عرف الإنسان - منذ ابتكاره الرسائل وسيلة للاتصال والتفاهم والإبلاغ عن بعد ، ثلاثة أشكال للتعبير عن مضمونها وإبلاغها إلى المتلقي . وتمثل هذه الأشكال ثلاث مراحل تاريخية أساسية مرت بها الرسائل في طريق تطورها . وتبدأ هذه الأشكال بالشكل الإشاري فالشكل الشفهي ثم الشكل التدويني . وإذا كان الترتيب الزمني لظهورها يعد أمراً مقبولاً فإن ظهور الشكل التالي لكل منها لم يكن ليلغى الشكل الذي سبقه ، بل كان لكل شكل منها ضرورة لم تكن للشكلين الآخرين وظرف يكون فيه أكثر فائدة ، ودور يكون أضمن نتيجة (٣٧) .

ويعتمد الشكل الإشاري على استخدام بعض الإشارات وسيلة للاتصال عن بعد ، كاستخدام إيقاع الطبول ، لإبلاغ رسالة معينة لدى بعض القبائل التي تعارفت على ذلك ، أو استخدام الدخان المتصاعد من النيران ، إلى غير ذلك من الإشارات التي يتفق القوم على معناها ودلالاتها . ولم يمكننا أن نعثر في المقرأ على هذا النوع ، لكننا لا نستطيع تأكيد معرفة بني إسرائيل له ، بل يمكن أن نكتفي بالقول بأن كُتَاب المقرأ لم ينقلوا لنا أخباراً عن استخدام اليهود القدماء للغة الإشارة كوسيلة لإبلاغ الرسالة عن بعد . لكنهم نقلوا لنا الكثير من الأخبار حول استخدامهم لشكلين آخرين ، ونعني بهما الشكل الشفهي والشكل التدويني :

أ- الشكل الشفهي (الرسائل الشفهية)

يأتي الشكل الشفوي للرسائل في مرحلة تالية لمرحلة الشكل الإشاري . وهو يسود عادة في غياب الخط والتدوين وموادهما . وهو يعتمد بطبيعته على الألفاظ اللغوية التي تؤلف فيما بينها كلاماً مفهوماً يحمله رجل بعد أن يعيه ، ويحفظه من المرسل عن ظهر

قلوب - إن أمكن - ليبلغه إلى المرسل إليه ، أو ليبلغه بمضمونه ومعانيه الجوهرية دون النص الحرفي .

ويعتبر الشكل الشفهي أقدم شكلي التراسل عند العبرانيين . وقد ظهر عندهم وهم مازالوا في طور النشأة . وقبل أن يصيروا جماعة لها هوية ، وقت أن كان الفراق بفصل بين آبائهم ، ويتحولون بأبنائهم وأملاكهم في الأراضي الكنعانية ، فيضطرون إلى التراسل فيما بينهم ، ويعرضون في رسائلهم مطالبهم ، وما يلاقونه من مصاعب . وتعتبر رسالة يعقوب بن اسحق إلى أخيه "عيساو - יַעֲקֹב" في أرض "سعير - שְׁעִיר" أقدم رسالة وردت على هذا الشكل في المقرأ (٣٨) .

ويأتي هذا النوع في المقرأ مصحوباً ببعض الأفعال التي تدل على معنى الإبلاغ شفاهه كالفعل "אָמַר" الذي يدل على معاني "القول ، والتفوه ، والإبلاغ" في اللغة العبرية ، وإرساله مع رسول يسمى في اللغة العبرية "מַלְאָךְ" ، يقوم بإبلاغ الرسالة شفاهه ، على نحو ما ورد في سفر التكوين ٣٢/٣-٥ "וישלח יעקב ملاכים לפניו אל - עשו אחיו ארצה שעיר שדה אדوم : ויצו אותם לאמר כה תאמרון לאדני לעשו כה אמר עבדך יעקוב .." وأرسل يعقوب رسلاً أمامه لأخيه عيساو في أرض سعير في ساديه أدوم ، وأمرهم قائلاً : هكذا تقولون لسيدي - عيساو - هكذا قال عبدك يعقوب" .

وما ورد في سفر العدد من قول كاتبه "וישלח משה ملاכים מקדש אל - מלך אדום כה אמר אחיד ישראל אתה ידעת את כל-התלאה אשר מצאתנו: וירדו אבותינו מצרימה ونשב במצרים ימים רבים וירעו לנו מצרים ולאבותינו : ونצעك אל - יהوه ويشמע قولنا ويشلح ملاך ויצאנו ממצרים והנה אנחנו בקדש עיר קצה גבולך : נעברה -נא בארצך לא נעבר בשדה בכרם ולא نشתה מי באר דרך המלך נלך לא نטה ימין ושמאל עד אשר-נעבר גבולך : " وأرسل موسى رسلاً من قادش إلى ملك أدوم ، هكذا يقول أخوك إسرائيل : قد عرفت كل المشقة التي أصابتنا ، فقد نزل آباؤنا مصر ، وأقمنا بها أياما كثيرة ، وقد أساء المصريون لنا ولآبائنا . فصرخنا للرب فسمع صوتنا

وأرسل ملاكاً فأخرجنا من مصر ، وهانحن بقادش التي تقع على طرف تخومك . فهلا سمحت لنا أن نمر بأرضك ، ولن نجتاز حقلاً أو كرمًا ولن نشرب من ماء بئر ، بل سنمر عن طريق الملك دون أن نتجه يميناً أو يساراً (٣٩) .

وقد ظل هذا الشكل ملازماً لهم حتى بعد قيام المملكة وظهور الشكل التدويني للرسالة . ولعب إلى جانب الشكل التدويني ، دوراً هاماً في التراسل بين ملوكهم بعضهم إلى بعض ، وبين ملوكهم وملوك الممالك المجاورة طوال فترة ما قبل إجلاتهم إلى بابل . ولنا في رسائل " بنهدد ب-١٦٧٧ " ، ملك الآراميين ، إلى ملك مملكة إسرائيل الشمالية "أحاب - آحاب" ، ورسائل " أمصيا - أمصيا " ملك يهوذا إلى ملك السامرة "يهوآش - يهوآش" دليل على ذلك . فيحكى لنا كُتّاب أسفار المقرآن "بنهدد ب-١٦٧٧" "قد أرسل رُسله إلى "أحاب آحاب" يطلب منه فيها أن يسلمه كل ما يملك من مال وعتاد حتى يتجنب غزوه لبلاده (٤٠) . كذلك تراسل "أمصيا - أمصيا" و "يهوآش - يهوآش" طلباً للنزال والمواجهة ، دون أي ذكر لتبادل الرسائل المدونة بينهم ، بل عن طريق بعض الرسل الذين كانوا يقومون بإبلاغ الرسائل شفاهة (٤١) ، مما يؤكد استمرار هذا الشكل من أشكال التراسل عند اليهود القدماء خلال هذه الفترة الزمنية من تاريخهم .

ب- الشكل التدويني (الرسائل المكتوبة)

من الطبيعي أن يترافق هذا الشكل مع ظهور الخط ووسائل الكتابة لدى أي شعب من الشعوب . ونحن نعرف أن بني إسرائيل قد عرفوا الخط والكتابة ، ربما في مرحلة مبكرة للغاية . فهناك إشارات في المقرآت أن موسى عليه السلام كان يكتب ما يتلقاه من ربه (٤٢) . مما يبين أنهم قد عرفوا الخط والكتابة في ذلك الوقت . ورغم ذلك ، لم يسقط لنا كُتّاب المقرأة أية أخبار عن رسائل مكتوبة خلال تلك الفترة الزمنية من تاريخهم . وقد سبق ذكر أن موسى عليه السلام قد تراسل مع بعض ملوك الآدوميين والآموريين برسائل شفوية عن طريق بعض الرسل الذين كانوا يبلغونها شفاهة . كما لم

ىرد فى المقرآ آفة آءبار ءول إرسال رسائل مءونة فى الفءرة الءى سبقت قىام المملكة رعم معرفءهم للءط والكةاءة . لءا نرى أن ظهور الرسائل المءونة كان مصاءباً لقىام المملكة عنءهم . فقبل قىام المملكة ، كانت القىبله هى الوءءة السىاسفة الءى ءركزء الصلاءفاء الإءارفة والقضاءفة والعسكرفة لها فى آفءى علفة القوم بها آى شىوءها . ومع قىام المملكة كان لابد من إقامة ءهاز إءارفى ءابء يعاون الملك فى إءارة شئون مملكءه ، على ررار ما كان فءء فى ممالك الشرق القءفمة ، ومن الوظائف الءى أشءمل علفها هءا الءهاز ، وظففة ((الكاءب)) أو ما يعرف فى اللغة العبرفة بالاسم " ספר " ، الءى كان من بىن مهامه كءابة رسائل الملك وإعءاء الوثائق الرسمة (٤٣) .

وءءفر رسالة ءاوء إلى "ىوآب - יואב" قائد ءفشه الءى أرسلها له عن طرفق "أورفا" ، أول رسالة مءونة ىرد ذكرها فى المقرآ . وقد ورفء فى سفر صموئىل الءافى على النءو الءافى :

ויהי בבקר ויכתב דוד ספר אל-יואב וישלח ביד אוריה : ויכתב בספר לאמור הבו את-אוריה אל-מול פני המלחמה החזקה ושבתם מאחריו ונכה ומת : وفى الصباء كتب ءاوء رسالة إلى ىوآب وأرسلها بأفءى أورفا ، وقد كتب فى الرسالة قائلاً : ءعوا أورفا فى مواءهة الحرب المسءعرة وءراءعوا عنه كى ففءرب ومء (٤٤) .

ونلاءظ هنا أن الكاءب قد ذكر ءفر إرسال الرسالة مصءوباً بالفعل " كءب" الءى فءل على معنى الكءابة ، وقد سمى الرسالة بمصءلء " ספר " ، على العكس من الآءبار الءى ورفء ءول الرسائل الشفهفة الءى كان الكاءب فىها فكنفى بذكر أن المرسل كان ىرسل رؤسلاً إلى المرسل إلفه كى فلفغونه بما فرفء أن فلفغه فياه شفاهه .

وقء ففءم الرسالة المءونة بفءام الملك إذا كءبها رفره وأرسلها باسمه ، على فءو ما فعءته "إفزابفل - איזבבל" ، زوءة الملك "آاب - אחאב" ملك إسرائيل ، عءما أرسلء باسمه رسائل إلى شىوء وأشراف فزرعءفل ، إء فقول كاءب سفر الملوكة الأول : وءكءب ספרים בשם אחאב وءفءفم وءشلاء הספרים אל-

الزقנים وال-الحريم אשר بعيررو הישבים את-נבות : ثم كتبت رسائل باسم
أحاب وختمتها بخاتمها و أرسلت الرسائل إلى الشيوخ والأشراف الذين يسكنون مع
نابوت في مدينته(٤٥)"

وقد كان ختم الرسالة بخاتم المرسل عادة سائدة بين شعوب الشرق القديم . حيث
اعتاد أصحاب الرسائل على طبع رسائلهم بأختامهم لأغراض مختلفة ، منها التأكيد على
صحة ما ورد فيها ، والحفاظ على سريتها . فكان الآشوريون غالباً ما يختمون غلاف
رسائلهم بأختامهم حتى يضمنوا عدم فتحها والإطلاع على ما فيها(٤٦) . كما كان
لختم الرسالة بخاتم الملك أهمية في إلزام المرسل إليه بتنفيذ ما جاء بها دون تردد ، فيقول
كاتب سفر أستير على لسان الملك الفارسي أحشويروش : وאתם כתבו על -
היהודים כטוב בעיניכם בשם המלך וחתמו בטבעת המלך כי-כתב
אשר נכתב בשם -המלך ונחתום בטבעת המלך אין להשיב فكاتباً ، أنتم
، إلى اليهود ما يحسن لكما - باسم الملك - واختماه بخاتم الملك ، لأن ما يكتب باسم
الملك ويختم بخاتم لا يُرد(٤٧) .

٣. حامل الرسائل في المقر

كانت عملية اختيار شخص ما كي يقوم بإبلاغ الرسالة تخضع لشروط
مشددة ، فكان عليه أن يكون محل ثقة المرسل ، مشهوداً له بالأمانة . وقد كان العرب
يبعثون برسائلهم مع أشخاص يتصفون بالأمانة فيختارونهم لهذه المهمة الجليلة(٤٨)
ويبدو أن الأمر كان كذلك عند اليهود القدماء ، لذا نجد من حكماهم من
شدد على ضرورة اختيار من يتصف بالأمانة لهذه المهمة ، وحذر من مقبة الخيانة في أداء
هذه الأمانة ، فقد ورد في سفر الأمثال : "مלאך رشע יפל ברע : וציר אמונים
מרפא " الرسول الشرير يقع في الشر ، والسفير الأمين شفاء (٤٩) .

وكان العبرانيون - في بداية عهدهم - يرسلون رسائلهم الشفوية بواسطة رسول
يدعى في اللغة العبرية بالاسم "مלאך" ، الذي يرد في لغة المقر على داليتين هما
"الملاك الذي يرسله الرب لإبلاغ رسالته إلى البشر" ، و"الرسول الذي يقوم بمهمة إبلاغ

الرسالة إلى صاحبها" (٥٠) . ومن هنا نجد أن مهمته تقوم أساساً على إبلاغ الرسالة سواء أكانت من الرب إلى البشر - إذا كان ملاكاً - أو من شخص إلى غيره إذا كان بشراً .

ومن الطبيعي أن نرجع إلى مادة الكلمة اللغوية إذا أردنا أن نفسر علة ارتباط هذا الاسم بدلالة إبلاغ الرسائل في المقرأ ، لكننا لا نجد لهذا الاسم جذراً يشتق منه في أسفار المقرأ رغم كثرة وروده فيها ، لذا ذهب البعض إلى أن مادة هذا الاسم تعود إلى ما يرد في اللغة العربية من مادة "للك" (٥١) . لكن هذه المادة لم ترد في معاجم اللغة العربية ويرد بدلاً منها مادة "ألك" التي تعني "تحمل الرسالة" (٥٢) . ونحن نعرف أن العرب قد أطلقوا مصطلحات "المألكة أو المالك" و "الألوك أو الألوكة" على الرسالة . فقد قال الخليل : "الألوك الرسالة ، وهي المألكة على "مفعله" (٥٣) ، وقد سميت الرسالة "الوكا" لأنها تؤلّك في الفم ، وهي اسم مشتق من قول العرب "الفرس يألك باللحم ويعلّكه" (٥٤) وقالوا أيضاً : "ألك بين القوم إذا ترسل ألكا وألوكا" (٥٥) . ومن هنا نرى أن مادة الكلمة ترد في اللغة العربية للدلالة على معنى الترسل ، وهو مأخوذ من قولهم : "ألك الفرس اللحم" بمعنى "مضغه" ، ومن هنا أيضاً ندرك أن استخدام العرب لمصطلحات "المالك أو المألكة والألوك أو الألوكة" كان يعني عندهم "الرسالة الشفهية" التي يقوم الرسول بنقلها إلى صاحبها حيث يكثر من ترديدها على لسانه حتى يحفظها عن ظهر قلب ، وكأنه يمضغها كما يمضغ الفرس اللحم .

ويشتق من هذه المادة في اللغة العربية الاسم "ملك" والأصل منه "مألك" ، ثم قلبت الهمزة إلى موضع اللام فقبل "ملاك" ثم خففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها فقبل "ملك" (٥٦) . وكلمة "ملاك" هي مقابل الكلمة العبرية "מלאך" . وهي تعني لغوياً "الرسول الذي يبلغ الرسالة شفاهة" . ومن هنا يمكننا تصور أن مادة الكلمة سامية الأصل ، وقد احتفظت بها اللغة العربية وفقدتها العبرية رغم احتفاظها بالاسم منها للدلالة على معنى من يقوم بإبلاغ الرسائل . ويظهر ذلك من وظيفة الملائكة

الذين يقومون بإبلاغ رسالة رب العالمين إلى من يختاره من البشر كي يبلغها بدورة إلى قومه.

وتظهر طريقة الإبلاغ الشفهي لمن يُسمى بهذا المصطلح في أسفار المقدس من خلال بعض الأفعال التي تدل على معنى الإبلاغ الشفهي كالفعل "אמר" بمعنى "القول أو الإبلاغ شفاهة"، الذي يتلازم مع الاسم "מלאך" في أغلب فقرات المقدس، على نحو ما ورد في فقرة سفر التكوين التي ذكرناها سابقاً حول رسالة يعقوب إلى أخيه عيساو (٥٧).

وعندما انتقل اليهود إلى الشكل التدويني للرسالة، استمر هذا الرسول على وظيفته، حيث كان يقوم بتلاوة الرسالة شفاهة أمام المرسل إليه، ثم يسلمها له بعد تلاوتها شفاهة، لتكون الرسالة المكتوبة في هذا الحال بمثابة تصديق لما يقوم الرسول بإبلاغه (٥٨). على نحو ما حدث مع رسالة ملك آشور - "سنحريب" סנחריב "إلى حزقياهو - حزقياهو" - ملك يهوذا، حيث يقول كاتب سفر الملوك الثاني "וישב וישלח מלאכים אל - חזקיהו לאמר: פה תאמרון אל - חזקיהו מלך - יהודה לאמר אל - ישאך אלהיך אשר אתה בטח בו... ויקח חזקיהו את - הספרים מיד המלאכים... فعاد وأرسل رسلاً إلى حزقياهو قائلاً: هكذا تقولون لحزقياهو ملك يهوذا، لا يغرنك إلهك الذي تنق به... وأخذ حزقياهو الرسائل من أيدي الرسل... (٥٩). فهنا نجد أن الرسل قد تلووا الرسائل على حزقياهو، ثم سلموها له بعد تلاوتها. مما يؤكد استمرار تلاوة هذا الرسول للرسالة، حتى وإن كانت مدونة خلال تلك الفترة من تاريخهم.

وفي فترة الحكم الفارسي للمنطقة بدءوا إرسال رسائلهم المدونة مع ساعٍ يسمى في اللغة العبرية "כֶּזֶז" الذي يسلمها لصاحبها دون تلاوتها. ومصطلح "כֶּזֶז" هو اسم من الفعل "כֶּזֶז" الذي يرد في عبرية المقدس للدلالة على معنى العدو أو الركض (٦٠). ومن هنا يمكننا أن نترجمه إلى الرسول العداء. وهو لم يرد على هذه الدلالة إلا في سفر أستير الذي تدور أحداثه خلال فترة الحكم الفارسي. على العكس من مصطلح

מלך" الذي يرد في أغلب أسفار المقرأ . ويبين هذا المصطلح مدى السرعة التي كان يودى بها هذا الرسول أثناء توصيل الرسائل ، فهو غالباً ما كان يمتطي الجياد عند قيامه بتوصيل الرسائل بين الممالك البعيدة في الإمبراطورية الفارسية ، لذا نجد كاتب سفر أستير يصف القائمين بهذا العمل بمصطلح "הַרְצִיִּים בַּסּוּסִים" الراكضون بالخيول (٦١) " ولا يخفى علينا أن ظهور هذا الاسم في لغة المقرأ ، للدلالة على هذه الوظيفة ، كان نتيجة لتأثر اليهود في بابل بنظام إبلاغ الرسائل عند الفرس الذين حكموا بابل خلال تلك الفترة . فمن المعروف أن الفرس كان لديهم نظام للبريد كان الغرض منه ضمان مواصلات سريعة ومرجحة بين الحكومة المركزية والأقاليم ، وكانت الرسائل والأشخاص تسير في طرق معبدة ، وكانت محطات البريد مزودة ، حسب أهميتها ، بالموظفين والخيول . وكان لديهم سعاة بريد يركبون الخيل لتوصيل الرسائل بين الممالك البعيدة ، وآخرون من العدائين الذين كانوا يستخدمون ، بنوع خاص ، في الأقاليم الإيرانية الخالصة حيث المسافات بين المحطات أقصر كثيراً (٦٢) . ويزكرنا هذا بما كان لدى المصريين القدماء من نظام للبريد ، حيث كانوا أول من وضع لبنته الأولى في الحضارات الإنسانية القديمة ، فأنشأوا له جهازاً خاصاً ، وزودوه بالموظفين والعتاد من محاط وحياد لضمان سرعة نقل مراسلاتهم إلى أتباعهم من أمراء ممالك أرض كنعان (٦٣)

ثانياً - البناء الأدبي :

للرسالة - كجنس أدبي - في الآداب المعاصرة بنية ثابتة ، فهي تتكون غالباً من مقدمة وموضوع وخاتمة . لكننا لا نجد مثل هذه البنية في رسائل الشرق الأدنى القديم التي اقتصررت بنيتها على عنصرين اثنين هما المقدمة والموضوع .

أ - أساليب المقدمة

١ . رسائل الشرق القديم :

كان للمقدمة في رسائل الشرق القديم صيغ شبة ثابتة ، لكنها لم تأتي على نسق ثابت أو بأسلوب ثابت . حيث كان أسلوب صياغتها يتعرض لبعض التطور من فترة

لأخرى ؛ وكان هذا التطور مرافقاً لطريقة إبلاغ الرسائل لدى شعوب الشرق القديم . ففي البداية كانوا يرسلون رسائلهم بواسطة رسول يبلغها شفاهه للمرسل إليه حتى وإن كانت مدونة ، حيث لم يكن تدوينها إلا لغرض تذكير حامل الرسالة بما ورد بها من مضمون وتصديقاً لما يبلغه لمستقبلها ، وعلى ذلك يمكننا أن نفسر افتتاحية أقدم رسالة أكديّة وردت صيغتها إلينا على النحو التالي : "إلى فلان [مستقبل الرسالة] قل : هكذا قال فلان [المرسل] (٦٤) " . وهنا نجد افتتاحية الرسالة تشتمل على ذكر اسم المرسل والمرسل إليه ، مع تقديم اسم المرسل إليه على اسم المرسل ، ويرجع السبب في ذلك - بالطبع - إلى طريقة إبلاغ الرسالة بواسطة رسول شفاهه ، التي تستلزم من المرسل أن يطلب من الرسول إن يبلغ المرسل إليه برسالته ، لذا استلزم المقام أن يتقدم اسم المرسل إليه على اسم المرسل .

وقد استمرت هذه الصياغة لفترات طويلة ، حتى بعد أن تحولوا إلى تدوين الرسائل وتسليمها مدونة إلى المرسل إليه ، فنجدها في رسائل تل العمارنة التي يرجع زمنها إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد ، وفي بعض الرسائل الأوجاريتية التي يرجع زمنها إلى القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد (٦٥) .

وخلال هذه الفترة حدث بعض التطور في صياغة افتتاحية الرسائل فتغير ترتيب موضع اسم المرسل والمرسل إليه ، فبدأ كتاب الرسائل بذكر اسم المرسل أولاً ثم اسم المرسل إليه ، خاصة إذا كان المرسل أعظم قدراً من المرسل إليه فتقابلنا الافتتاحية التالية : "هكذا قال فلان [المرسل] إلى فلان [المرسل إليه] (٦٦) " .

وفي عهد حمورابي - ملك بابل - ظهر تطور آخر على أسلوب صياغة افتتاحية الرسائل فبدءوا يضيفون بعض عبارات التحية إلى افتتاحيات بعضها ، فظهرت عبارات الدعاء للمرسل إليه بطول العمر والصحة ورعاية الآلهة ، ففي إحدى الرسائل البابلية القديمة ، ترد بعض عبارات التحية التي يخاطب بها المرسل أخته بقوله : "لبحييك شيمش ومردوك ، من أحلي ، أياماً طويلاً ، ودعائي لكي أن تكوني عافيه وبصحة جيدة وليحرس السرب - الذي يحفظك - رأسك بكل خير . قد أرسلت إليك سائلاً عن

سلامتك . سلامتك التي أتمنى أن تطول برعاية شيمش ومردوك . وليحفظك سيدك وسيدتك كما يحفظان ما بأيديهما من ثروة (٦٧) .

ويبدو أن الكنعانيين قد ساروا على هذا النهج في رسائلهم ، إلا أنهم أضافوا إلى افتتاحياتها بعض العبارات التي تعكس معاني الخنوع والخضوع للمرسل إليه ، ففي إحدى الرسائل الكنعانية القديمة التي أرسلها ملك كنعاني إلى فرعون مصري ، نجده يفتتح رسالته بالعبارات التالية : "إلى مليكي وسيدي ، إلى شمسي وإلهي ، قل : هكنا قال زئيراً عبدك وتراب أقدامك وطين خطواتك ، قد سجدت ، وعلى بطني وجني ، سيع مرات لسيدي وشمسي وإلهي (٦٨) ."

وقد استمرت مثل هذه العبارات التي تعكس معاني الخنوع والخضوع بل والسجود للمرسل إليه في عدد من الرسائل الأوجاريتية ، الرسمية منها وغير الرسمية ، هذا إذا كان المرسل يقل مكانة عن المرسل إليه ، أما إذا كان يساويه مكانة فكان يكنفي بالتعبير عن احترامه له ، كأن يخاطبه بلفظ الأبوة إذا كان يكبره سناً أو بلفظ الأخوة إذا كان يقاربه عمراً (٦٩) .

ثم اختفت هذه العبارات الافتتاحية في الألف الأول قبل الميلاد وأصبح التوجه إلى المرسل إليه بالخطاب مباشرة أمراً معتاداً ، ففي إحدى الرسائل الآشورية القديمة التي يعود زمنها إلى القرنين السابع والثامن قبل الميلاد يتوجه المرسل إلى الملك المرسل إليه بالصيغة التالية : "إلى سيدي الملك ، عبدك فلان ... " ، ومن الممكن أن يصاحب ذلك عبارة من عبارات التحية تقصر أو تطال حسب المقام ، وهي غالباً ما تتضمن معنى الدعاء بالسلام والصحة ورعاية الآلهة للمرسل إليه ، وطول العمر وكثرة النسل (٧٠) .

وعن الرسائل الآرامية ، فإن أقدم ما عُثر عليه منها ، رسالة من أحد ملوك المدن الساحلية - عسقلان - إلى فرعون مصر يطلب منه فيها أن يمد له يد العون في مواجهة ملك بابلي اقترب من حدود بلاده ويوشك أن يحتلها . وترد الافتتاحية فيها مشتملة على صيغة دعاء أن يحمي الرب عرش فرعون من الزوال (٧١) . بينما كانت افتتاحيات الرسائل الآرامية ، التي عُثر عليها في جزيرة فيلة في مصر ويعود زمنها إلى القرن

الخامس قبل الميلاد ، تبدأ ، في الأغلب ، ببعض عبارات التحية إذا كانت موجهة من الرعية إلى الحاكم ، أما إذا كانت موجهة من الحاكم إلى بعض موظفيه فإنها كانت تبدأ بذكر اسم الحاكم أولاً ثم اسم المرسل إليه ثانية (٧٢) . وتقابلنا في هذه الرسائل أغرب صيغة لافتتاحية الرسائل والتي لم يستطع الباحثون العثور على أصلها ، وهي تلك الافتتاحية التي تبدأ بمباركة الهيكل قبل ذكر اسم المرسل والمرسل إليه (٧٣) .

وبالتالي نرى أن مقدمة الرسائل في الشرق الأدنى القديم قد اشتملت على بعض العناصر منها ذكر اسم المرسل والمرسل إليه ، مع اختلاف ترتيبهما من عصر لآخر وحسب أهمية كل منهما ، والتحية التي اختلفت صيغها من عصر آخر ومن بلد لآخر ، والدعاء إلى المرسل إليه .

٢. رسائل المقرا :

فإذا انتقلنا إلى مقدمة رسائل المقرا نجد أنها قد تعرضت لكثير من التطور وذلك حسب طريقة أداء الرسالة والعصر الذي كتبت فيه ، وكذلك السياق الذي وردت خلاله . فعندما كان اليهود ينقلون رسائلهم شفاهه بوساطة بعض الرسل ، وهي تلك الرسائل المعروفة باسم الرسائل الشفهية - كرسائل يعقوب وموسى - نجد مقدماتها تشتمل على افتتاحيات تبين اسم المرسل والمرسل إليه على النحو الذي كان سائداً في الرسائل الأكديّة القديمة ؛ وتجدر الإشارة هنا إلى أن افتتاحية الرسالة في ذلك النوع من الرسائل كانت ترد إما صراحةً - أي واضحة في بنية الرسالة - مثلما ورد في رسالة يعقوب إلى أخيه عيساو : " **פה תאמרון לאדני לעשו פה אמר עבדך יעקב** . . . " هكذا تقولون لسيدي عيساو هكذا قال عبدك يعقوب ... (٧٤) " أو أن يشار إليها في إطار السياق ، كأن يشير الراوي إلى أن فلاناً أرسل رسالة إلى فلان دون أن يورد افتتاحية الرسالة نفسها ، على نحو ما ورد في رسالة موسى - عليه السلام - إلى ملك سـيـحـون : " **וישלח ישראל מלאכים אל-סיחון מלך-האמורי לאמר** : وأرسل إسرائيل إلى سيحون - ملك الأمورين قائلًا... (٧٥) " وهنا نجد أن السياق

الذي وردت فيه الرسالة قد تحكم في بنيتها ، حيث استغنى كاتب السفر عن افتتاحية الرسالة ، التي كانت تشتمل غالباً على اسم المرسل والمرسل إليه ، مكتفياً بالإشارة إليها في سياق روايته لخبر تلك الرسالة

ويبدو أن تأثير رواية الخبر ، أو السياق الذي يرد خبر الرسالة في إطاره كأن له دوره في حذف افتتاحية الرسالة حتى بعد أن تحول اليهود من الرسالة الشفهية إلى الرسالة المدونة ، في عصرهم الملكي ، فكان كتاب أسفار المقرأ يكثفون بالإشارة إلى خبر إرسال رسالة من شخص ما إلى آخر دون أن يوردوا افتتاحية الرسالة والاكتفاء بذكر موضوع الرسالة مباشرة ، ولنا في رسائل داود - عليه السلام - وإيزابيل وياهو ، دليل على قولنا ، ولنأخذ خبر رسالة ياهو إلى شيوخ يزرعئيل كنموذج لذلك ، حيث يقول كاتب سفر الملوك الثاني : "...ويكتب יהוא שפרים וישלח שומרון אל שרי יזרעאל הזקנים ואל -האמנים אחאב לאמר :עתה ... فكتب ياهو رسائل إلى السامرة إلى رؤساء يزراعئيل الشيوخ وإلى مربي أحاب قائلاً : والآن... (٧٦)

وظل أسلوب افتتاحية الرسائل على هذا النحو المتأثر بأسلوب الرسائل الأكديّة القديمة سائداً في رسائل المقرأ طوال فترة استقلال مملكتهم وعدم خضوعهما للحكم الأجنبي ، لكننا نلمس في رسالة من رسائلهم نوعاً من الخصوصية حيث اشتملت مقدمتها على ما يسمى بالمثل الخرافي ، ففي رسالة "يهوآش بن يهوآحاز יהואש בן-יהואחז" ملك إسرائيل إلى "أمصيا - אמציה" ملك يهوذا ، نجد الكاتب ، بعد أن أشار إلى خبرها الذي يتضمن اسم المرسل والمرسل إليه على النحو السائد في الرسائل الأخرى ، يورد قول "يهوآش - יהואש" الذي بدأه بالخرافة التالية : " החות אשר בלבנון שלח אל -הארז אשר בלבנון לאמר תנה את -בתך לבני לאשה ותעבר חית השדה אשר בלבנון وترמס את -החות)العوسج الذي في لبنان أرسل إلى الأرز الذي في لبنان يقول أعط أبتك لأبني امرأة فعر حيوان بري كان في لبنان وداس العوسج (٧٧)" ونلاحظ هنا تأثير البيئة على ألفاظ المقدمة ، حيث استخدم الكاتب أسماء من البيئة التي يوجد بها والتي تخدم غرضه في تحقير خصمه فأورد نبات

العوسج للدلالة على مدى حقارة خصمه واستعار لنفسه شجرة الأرز الضخمة التي تضرب بجذورها في الأرض دلالة على قوته وثباته واستخفافاً بخصمه .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من المقدمات لم يرد في أية رسالة أخرى من رسائل المقرأ ، ولم يرد إلينا ما يفيد استخدام شعوب الشرق القديم لمثل هذا النوع من الأمثال في رسائلهم لذا فإننا نميل إلى القول بال تجديد الذي طرأ على أسلوب المقدمة في رسائل المقرأ من خلال ما ورد في رسالة يهوآش في المقرأ .

فإذا انتقلنا إلى رسائل سفر عزرا التي تنتمي إلى نوع الرسائل المدونة والتي يرجع زمنها إلى فترة الحكم الفارسي ، وجدنا مقدماتها تشتمل على المرسل والمرسل إليه كعنصر أساسي من عناصر المقدمة ، إلا أن هذا العصر لا يرد على وتيرة واحدة ، فقد يذكر الكاتب اسم المرسل دون المرسل إليه ، على النحو التالي : " **לכדיך אנש** **לכר-נהרה וכענת** : عبيدك القوم الذين في عبر النهر إلى آخره (٧٨) " ، وقد يذكر اسم المرسل إليه دون المرسل ، مثل : " **לדריוש מלכא שלמא כלא** " لداريوس الملك كل سلام (٧٩) " ، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أسلوب رواية الكاتب الذي كان يكتفي بذكر المرسل أو المرسل إليه اعتماداً على ما سبق أن أشار إليه من خبر إرسال الرسالة . أما رسالة " **أرتخشستا** ** - **أرتخشستا** " إلى " **عزرا - عزرا** " فقد اشتملت مقدمتها على ذكر اسم المرسل والمرسل إليه ، على النحو التالي : " **أرتخشستا ملך-ملכיא לעزرا כהנא ספר דתא די-אלה שמיא גמיר** **וכענת** : من أرتخشستا - ملك الملوك - إلى عزرا الكاهن ، كاتب شريعة إله السماء الكامل ، إلى آخره (٨٠) " .

كما نلاحظ في رسائل تلك الفترة عنصر التحية الذي اشتملت عليه افتتاحيات من رسائل الشرق القديم ، وهو الأمر الذي يبرز من خلال رسالة " **تتاي - تتاي** " إلى " **الملك داريوس - דריוש** " والتي يقول فيها : " **لداريوس كل سلام (٨١)** " .

ب- الموضوع

الموضوع هو الجزء التالي للمقدمة ، وهو أهم جزء فيها ، ففيه يخاطب المرسل المرسل إليه بما يرغب إبلاغه له . ومن الطبيعي أن تختلف أساليب موضوعات الرسائل حسب مضامينها ، لكننا نلمس في رسائل الشرق الأدنى القديم - الآرامية منها خاصة - بعضاً من السمات الأسلوبية ، حيث غالباً ما كانت موضوعاتها تبدأ ببعض الكلمات التي تدل على معنى البعدية مثل : "וכעת" ، "כען" ، "כענת" ، التي تقابل كلها في اللغة العربية معنى "أما بعد" (٨٢).

أما الانتقال من المقدمة إلى الموضوع في رسائل المقرأ فكان له صيغ وطرق ، تختلف حسب طريقة إبلاغ الرسالة ، فإذا كانت الرسالة شفوية ، نجد موضوعها يبدأ غالباً بما يدل على طلب الإبلاغ والقول نحو : "פה תאמרון هكذا تقولون" ، "פה אמר هكذا قال" ، كذلك ترد هذه الصياغة عندما يكون إبلاغ الرسالة شفاهة حتى وإن كانت مدونة مثل : "פה תאמרון אל-חזקיהו לאמר هكذا تكلمون حزقياهو ملك يهوذا قائلين (٨٣) ."

وإذا كانت الرسالة مدونة وغير مبلغة شفاهة من خلال رسول ، فإن موضوعاتها ترد في المقرأ بأشكال متعددة ، منها أن يرد ذكر الموضوع مباشرة دون مقدمة اعتماداً على ما رواه كاتب السفر من خبر الرواية على نحو ما حدث في رسالتي داود وإيزابيل (٨٤) ؛ أو أن يبدأ الكاتب الموضوع بعلامة تدل على الدخول في الموضوع كأن يقول "ולעתה والآן" التي تقابل معنى البعدية ، أي معنى "أما بعد" على غرار ما ورد في رسالة ياهو إلى شيوخ "يزرعتيل (٨٥) ، أو أن يقول "וכענת وبعد" على نحو ما ورد في رسالة رحوم ورفاقه التي وردت من الإصحاح الرابع من سفر عزرا ، ورسالة أرثخشستا إلى عزرا الواردة في الإصحاح من السفر نفسه (٨٦).

وقد يطول الموضوع أو يقصر حسب الغرض من الرسالة ، ولعل أقصر موضوع ، في رسائل ملوك المقرأ ذلك الذي ورد في الرسالة الجوابية التي أرسلها أحاب إلى بنهدد ،

والذي لا يتعدى جملة واحدة ، يقول فيها : "لا يفتخرن من يشد كمن يحل (٨٧)".
أما أطول موضوعات رسائل ملوك المقر فهو ما ورد في رسالة أرتخشستا إلى عزرا الذي يقارب الخمس عشرة فقرة .

ثالثاً - المضمون

الرسالة هي مكن سر صاحبها ، فهو يسجل فيها ما تلميه الحوادث والظروف ، وحاجاته الوقتية ، ومن ثم فإن أهمية الرسائل - أيا كان نوعها - تتمثل في قيمتها التاريخية ، فهي تعكس حقيقة الواقع اليومي الذي كان يعيشه صاحبها دون زيف أو تشويه ، كما تقدم واقعاً حقيقياً للوضع السياسي والاجتماعي في زمن كتابتها ، ومن خلال وجهة نظره . ومن هنا تعتبر الرسالة من الوثائق التاريخية الهامة التي يعتمد عليها المؤرخون في تقديم تاريخ صحيح لحياة الأمة زمن كتابتها .

وتنتمي رسائل الملوك في المقر ، في مجملها ، إلى ما يعرف بالرسائل الرسمية أو الديوانية فهي تدور في فلك البلاط الملكي ، حيث ينتمي مرسلوها أو مستقبلوها إلى زمرة ملوك بني إسرائيل أو من ينوب عنهم في تولي مقاليد الحكم أو إدارة شئون شعبهم . وتعكس لنا تلك الرسائل صوراً متعددة من حياة البلاط الملكي ، وتقدم أخباراً عما كان يحدث خلف كواليس بلاط بعض ملوكهم ، والصراع الذي كان يدور بين مملكتهم وبينهم وبين الممالك الأخرى في محاولات الممالك المجاورة السيطرة عليهم ومحاولاتهم العودة من بابل ونجاحهم في ذلك في عهد ملوك الفرس . وقد دارت مضامين الرسائل حول عدد من الموضوعات منها :

١) الانحلال الأخلاقي وفساد البلاط الملكي .

تقدم بعض رسائل المقر صورة واضحة لبعض مظاهر الانحلال الأخلاقي والفساد الملكي اللذان تفشيا في بعض فترات الحكم الملكي عند بني إسرائيل . وتوضح هذه الصورة من خلال الموضوع التالي :

الأمر بشهادة الزور وتلفيق التهم : ويبرز هذا الموضوع من خلال رسالة إيزابيل - زوجة أحاب ملك السامرة - التي أرسلتها إلى شيوخ وأشراف يزرعئيل تطلب منهم أن يستهوا زوراً شخصاً يدعى "نابوت" ، رفض أن يذعن لطلب زوجها الملك أن يبيع له كرمه ، وأن يقتلوه حتى يتمكن زوجها من الاستيلاء على كرم الرجل البريء . وقد وردت هذه الرسالة في سفر الملوك الأول على النحو التالي : "ثم كتبت رسائل باسم أحاب وختمتها بخاتمه وأرسلت الرسائل إلى الشيوخ والأشراف الذين يسكنون مع نابوت في مدينته وكتبت فيها تقول : نادوا بصوم ثم أجلسوا نابوت على رأس الأشهاد . وأجلسوا رجلين من بني يعل فليشهدا ضده قائلين قد جدف على الرب وعلى الملك ثم أخرجوه وارجموه حتى يموت (٨٨) " .

وتعكس هذه الرسالة صورة من صور تدخل زوجات الملوك الأجنبية في إدارة شئون المملكة ، ومدى استغلالهن لنفوذهن للاستيلاء على ممتلكات رعايا المملكة حتى بتلفيق التهم لهم وقتلهم . فإيزابيل هي بنت اثبعل - ملك صيدون - وقد اتخذها أحاب - ملك إسرائيل - زوجة له فأدخلت ثقافتها الصيدونية إلى مملكة إسرائيل وأثرت على زوجها فبنى لمعبودها "بعل" مزبجاً في السامرة وأدارت أمور المملكة حسب رغبتها وإرادتها (٨٩) . وجاءت رسالتها دليلاً دامغاً على أفعالها الشريرة التي قامت بها .

الثورة على الفساد الديني .

لم يتوقف فساد البلاط الملكي في عهد أحاب على مصادرة ممتلكات رعاياه فقط ، حتى وإن أدى ذلك إلى قتلهم ، بل تعدى ذلك إلى الفساد الديني وعبادة الآلهة الأجنبية تحت تأثير زوجته الصيدونية التي جلبت معها عبادة آلهتها وأجبرت زوجها على بناء هيكل لها وإقامة المزابح لها في السامرة وقربت انبياءها من عرش السامرة عاصمة مملكة إسرائيل ، وأصبحت عبادة البعل عبادة علنية للمرة الأولى في الفكر الديني اليهودي (٩٠) . ولم تكن هذه العبادة متأصلة لدى الشعب اليهودي ولم يكن لها جذور في المعتقد اليهودي ، ومن ثم ثار أنبياءه على هذه العبادة وألهبوا الشعب للثورة ضد إيزابيل وآلهتها

، فاتجهوا إلى قائد عسكري يدعى "ياهو*" ونصبوه ملكاً على الشعب وكلفوه بالانتقام لقتل أنبياء الرب وسلب ممتلكات الشعب ، من إيزابيل وأنبيائها وأسرتها . ولم يدخر ياهو وسعاً - بعد أن صار ملكاً على إسرائيل - في الانتقام فقام بإزالة هيكل البعل من مملكة إسرائيل ، وقتل أنبياءها وقتل إيزابيل وجعل لحم جسدها طعاماً للكلاب ثم طارد نسل أحاب حتى قتلهم وعلق رؤوسهم على الأشهاد (٩١).

وتأتي الرسائل التي تبادلها ياهو مع شيوخ السامرة دليلاً على ما فعله بأبناء أحاب ونهاية لأحداث دموية جاءت كلها نتيجة للفساد الديني والأخلاقي الذي مارسه إيزابيل زوجة أحاب ملك إسرائيل ، ويروي لنا كاتب سفر الملوك الثاني قصة تبادل الرسائل بين ياهو وشيوخ السامرة على النحو التالي:

رسالة ياهو الأولى إلى الشيوخ : أرسل ياهو إلى رؤساء السامرة وشيوخها يخبرهم ولأهم للملكهم أحاب ، فطلب منهم أن ينصبوا من يروونه مناسباً من أبنائه ملكاً عليهم ، فقد كان من الذكاء والدهاء أن يرسل لهم بداية كي يتبين موقفهم منه ، فهو كان يعلم امتلاكهم من العناد ما يمكنهم من مقاومته ، فيقول كاتب سفر الملوك الثاني : "وكان لأحاب سبعون ابن في السامرة ، فكتب ياهو رسائل وأرسلها إلى السامرة إلى رؤساء يزرعشيل الشيوخ وإلى مربي أحاب قائلاً : والآن ، عند وصول هذه الرسالة إليكم إذ عندكم بنو سيدكم وعندكم مركبات وخيل ومدينة محصنة وسلاح ، انظروا الأفضل والأصلح من بني سيدكم واجعلوه على عرش أبيه وحاربوا عن بيت سيدكم (٩٢) ."

لكن اليأس والخوف كان قد دب في نفوس رؤساء المدينة وشيوخها فآثروا الانضمام إليه في القضاء على بيت أحاب ، فردوا عليه برسالة أعلنوا فيها ولائهم له في نضاله ضد أسرة أحاب ، فيقول كاتب السفر : "فأرسل الذي على البيت والذي على المدينة والشيوخ والمربون إلى ياهو قائلين : عبيدك نحن وكل ما قلت نفعله ، لا نملك أحد ، ما يحسن في عينيك فافعله (٩٣) " فأرسل إليهم ياهو ثانية ، يخبرهم ولأهم له ، فطلب منهم أن يأتوا إليه حاملين رؤوس أبناء أحاب فيقول كاتب السفر : " فكتب إليهم ثانية قائلاً : إن كنتم لي وسمعت لقولي فخذوا رؤوس الرجال بني سيدكم وتعالوا إلى في نحو هذا

الوقت غزا إلى يزرعيل (٩٤) ". وبالفعل نفذ رؤساء السامرة وشيوخها ما طلبه منهم ياهو وجاءوه محملين بسلال فيها رؤوس أبناء أحاب السبعين (٩٥).

١) الصراع بين مملكة إسرائيل الشمالية ومملكة يهوذا

تصور لنا الرسائل المتبادلة بين أمصيا - ملك يهوذا - ويهوآش - ملك إسرائيل - الصراع الذي دار بين مملكتي الشمال والجنوب، هذا الصراع الذي ما كان يهدأ حتى يندلع من جديد أشد وأعنف بعد أن يستقر الحال لكل منهما وتستريحان من أعدائهما الخارجيين .

كان أمصيا قد ملك على يهوذا في النصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد واستطاع أن يفرض سيطرته على مقاليد الأمور في مملكته بعد أن سوى الخلاف بين أسرته والكهنة ، ثم كون جيشاً قوياً استطاع به أن يخوض حربه ضد الأدوميين وأنزل بهم هزيمة قاسية ، سيطر على إثرها على شمال أدوم ووصل إلى مدينة " لالا " " سيلع " وما أن استقر له الأمر وضحك له القدر حتى ضرب بناظره صوب السامرة - عاصمة مملكة إسرائيل - وقت أن كانت تحت حكم يهوآش بن يهوآحاز الذي كان يعيش هو أيضاً أفراح انتصاراته على الآرميين. ومن المحتمل أن تكون انتصارات كلا منهما وتعاضم قوتهما وغيرهما من بعضهما البعض قد كانت سبباً في اندلاع الحرب بينهما (٩٦) ، فقد أرسل أمصيا إلى يهوآش يطلب مواجهته فرد عليه الأخير محتقراً وموئناً إياه على غروره الذي أصابه بعد أن هزم الأدوميين . ويروي كاتب سفر الملوك الثاني قصة هذا التراسل المتبادل بينهما بقوله : " حينئذ أرسل أمصيا رسلاً إلى يهوآش بن يهوآحاز - ملك إسرائيل - قائلاً هلمنا نترائي . فأرسل يهوآش ملك إسرائيل إلى أمصيا - ملك يهوذا قائلاً : العوسج الذي في لبنان أرسل إلى الأرز الذي في لبنان يقول أعط أبتك امرأة لأبني . فعبر حيوان بري كان في لبنان وداس العوسج . إنك ضربت أدوم فتعاليت ، تمجد أقم في بيتك لهذا تمجم على الشر فتسقط أنت ويهوذا معك (٩٧) " .

ونلاحظ في رسالة يهوآش إلى أمصيا مدى الاحتقار الذي تخاطب به يهوآش مع أمصيا فهو يشبهه بنبات العوسج رمز القبح في المقرأ (٩٨) ، ويشبه نفسه بشجرة الأرز

الضخمة المعمرة ، ثم يحذره من مغبة لقائه ونزاله فيطالبه بأن يلزم بيته حتى لا يتعرض هو ومملكته للهلاك . وقد استطاع يهوآش أن ينزل به هزيمة نكراء ويأسره في معركة دارت رحاها بالقرب من " בֵּית שִׁמְשׁ - بيت شيمش " عام ٧٨٤ ق.م ، واقتحم أسوار أورشليم ونهب ثروات ملكها وهيكلها وسي من أهلها الكثيرين (٩٩).

٢) الصراع بين مملكتي اليهود والممالك المجاورة

لم تكن حياة اليهود في مملكتهم حياة هادئة مستقرة ، بل كانوا في صراع مستمر مع الممالك المجاورة من أجل البقاء ، وتقدم رسالتنا بنهدد وسنحريب دليلاً على هذا الصراع الذي كان يدور بين الحين والآخر بين كل مملك من ممالك اليهود وبين ممالك الأمم المجاورة :

أ- الصراع بين مملكة إسرائيل الشمالية و الآراميين :

كان الآراميون الذين عاشوا في سوريا يشكلون خطراً دائماً على اليهود ، وقد بدأ الصراع بينهم منذ حكم داود عندما استطاع أن يخضعهم لحكمه بعد أن دك جيشهم الذي خرج لمساعدة ملك صوبا " هدد عزر - הֶדְדַּעֲזַר " في مواجهة داود ، وقد استمروا على هذا الحال حتى جاء "رازون بن إيداع * - רֶזֶן בֶּן אִידַע " وحرر دمشق من عبء الاحتلال اليهودي في عهد سليمان ، وأقام فيها مملكة مستقلة . وبعد انقسام مملكة اليهود ، صارت آرام خطراً دائماً على مملكة إسرائيل الشمالية ، ووصلت حروبهما إلى ما يقرب من الثمانية حروب دون أن يحسم الصراع بينهما لصالح إحدهما . وفي القرن التاسع ق . م ، استغل "بنهدد الأول" الصراع الدائر بين مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل في ذلك الوقت واستطاع أن يقطع من مملكة إسرائيل منطقة نفتالي في عهد الملك "بعشا - בַּעְשָׁא"

ولم يكفي بذلك بل أراد أن يستولي على السامرة نفسها ، وحاول في عهد الملك أحاب أن يحقق مبتغاه فأرسل إليه يطالبه أن يستسلم له ويسلمه كل خزائن المملكة وكل

ما له من نساء وبنين ، إلا أن أحاب استطاع أن يتزل به وبحلفائه هزيمة قاسية في السامرة أولاً ثم في وادي الجولان بعد سنة من هزيمته الأولى (١٠٠) .

وترد رسائل " بنهدد - ٦٦٦-٦٦٦ " إلى أحاب لتقدم دليلاً على الصراع الذي دار بين الآراميين ومملكة إسرائيل الشمالية خلال تلك الفترة ، فيروي لنا كاتب سفر الملوك الأول ما يلي : " وجمع بنهدد - ملك آرام - كل جيشه ومعه اثنين وثلاثين ملكاً مزودين بالخيول والمركبات وصعد إلى السامرة فحاصرها وحاربها . ثم أرسل رسلاً إلى أحاب ملك إسرائيل إلى المدينة يقول له : هكذا يقول بنهدد : لي فضتك وذهبك ولي نساؤك وبنوك الحسان (١٠١) " . ورد عليه أحاب موافقاً على كل ما طلبه ، إلا أن بنهدد أرسل إليه ثانية : " قد سبق أن أرسلت إليك قائلاً إن فضتك وذهبك وبنيك تعطيني إياهم لذا فإني سوف أرسل في نحو هذا الوقت غداً إليك عبيدي كي يفتشوا بيتك وبيوت عبيدك ، يأخذون كل ما يقع في أيديهم مما هو مقيم لديك (١٠٢) " . فأيقن أحاب أن بنهدد يضمن شراً ، وأنه لا يكتفي بما لديه من مال وثروات بل يتبغي ما هو أكثر من ذلك فجمع شيوخ مملكته يطلب مشورهم فنصحوه ألا يستمع إليه وألا يجيبه إلى ما طلب ، فأرسل إليه يخبره موافقته على ما طلبه أولاً ورفضه لما طلبه في المرة الثانية ، فأرسل له بنهدد رسالة ثالثة يهدده فيها باحتلال المملكة ، فيقول كاتب السفر : " فأرسل بنهدد وقال : هكذا ستصنع لي الآلهة وهكذا ستزيدني ، فإن كل تراب السامرة سوف يكفي لقبضات كل الشعب الذي يتبعني (١٠٣) " فرد عليه أحاب برسالة يقول فيها : " قولوا له لا يفتخرون من يشد كمن يحل (١٠٤) " ، فأيقن بنهدد أنه لا فائدة من الحوار مع أحاب وطلب من جيشه أن يشدد الحصار على السامرة لكن أحاب أستطاع أن ينزل به وبحلفائه الهزيمة وتمكن على إثرها من رد ما احتله الآراميون من قبل في عهد والده ون يجبرهم على أن يفتحوا أسواقهم أمام بضائع مملكته (١٠٥) .

ب- الصراع بين آشور و مملكة يهوذا الجنوبية

تقدم لنا رسالة "سنحريب - סנחריב" - ملك آشور- إلى "حزقياهو - חזקיהו" - ملك يهوذا - التي يطلب منه فيها الاستسلام له وعدم مقاومته ، صورة لمحاولات الإمبراطوريات الكبرى في الشرق الأدنى القديم للاستيلاء على الممالك الصغيرة . فما كاد نجم آشور يبرز في سماء الشرق الأدنى القديم حتى تطلع ملوكها إلى السيطرة على كل ممالك الشرق ، وكانت مملكة يهوذا أحد أهدافها . وفي عام ٧٠١ ق.م تقدم "سنحريب - סנחריב" بجيشه صوب المملكة الجنوبية لليهود واستولى على بعض مدنها ، ثم اتجه صوب القدس وأرسل رسالة إلى ملكها "حزقياهو - חזקיהו" يطلب منه فيها الاستسلام وعدم المقاومة . وقد أورد كُتَاب أسفار الملوك الثاني ١٩/١٠-١٤ ؛ وأخبار الأيام الثاني ٣٢/١٧ ؛ وأشعيا ٣٧/٨-١٤ نص هذه الرسالة باختلافات بسيطة . فيقول كاتب سفر الملوك الثاني : "فأرسل مرة أخرى رسلاً إلى حزقياهو قائلاً : هكذا تقولون لحزقياهو ، لا يغرنك إلهك الذي تثق به قائلاً لن تقع أورشليم في أيدي ملك آشور ، هاأنت قد سمعت بما فعله ملوك آشور بكل الممالك التي أهلكتها وتريد أنت أن تنجو ، هل أنقذت آلهة الأمم هؤلاء الذين أهلكتهم آبائي ، جوزان وحاران ورصف وبني عدن الذين في تلاسار ؟ أين ملك حماه وملك أرفد وملك مدينة سفراويم وهينع وعرّ؟ فأخذ حزقياهو الرسائل من أيدي الرسل وقرأها ثم صعد إلى بيت الرب ونشرها أمام الرب (١٠٦)

وتورد بعض أخبار المقر أن الرعب انتاب حزقياهو من رسالة سنحريب فأسرع بإرسال بعض الأموال كجزية إليه . لكن سنحريب لم يكتف بها وفرض حصاره على أورشليم ، ثم تدخل النبي أشعيا بن أموص وضغط على حزقياهو كي يرفض مطالب سنحريب ، فرفضها بالفعل . ولم يتمكن سنحريب من تنفيذ مأربه بالاستيلاء على أورشليم بسبب بعض الإضطرابات التي وقعت في عاصمته "نينوى" مما أجبره على العودة إلى آشور وأنقذت أورشلم هذه المرة (١٠٧).

٣) إعادة بناء الهيكل ومعارضة المقيمين في القدس

ما إن بزغ نجم الفرس واستطاع كورش أن يجهز على الإمبراطورية البابلية حتى أصدر مرسومه بالسماح لليهود في كل أقاليم مملكته بالعودة على أورشليم مرة أخرى بعد أن كان "نبوخذنصر" قد أجلاهم عنها عام ٥٨٦ ق. م ، وقد اشتمل مرسومه ، الذي صدر كتابة أمر بنشره وإبلاغه في كل مملكته على أمر بعودة اليهود إلى أورشليم والسماح لهم بإعادة بناء هيكلهم فيها مرة أخرى ، وإعادة ما كان نبوخذنصر قد صادره من أدوات الهيكل ، وجمع التبرعات التي تساعد على العودة ، ودفع مصاريف البناء من خزائن الملك ، لكنه لم يشتمل على أي ذكر بالسماح بإعادة بناء القدس (١٠٨) .

وعلى الفور بدأ اليهود العودة إلى مملكة يهوذا ، وانتهت عودتهم إليها خلال ما يقرب من العامين من مرسوم كورش . وقد استقر بعضهم وعملهم في أورشليم بينما أقام الآخرون في بقية مدن المملكة . وما أن اقترب الشهر السابع من السنة الأولى من عودتهم حتى بدأ "زروبابل بن شلتيثيل" * - זרובבל בר-שאלתיהאל " و "يهوشع بن يهوصاداق" ** - יושוע בר-יהואדק " الكاهن الأكبر ومن معهما في بناء المذبح في مكانه القديم وبمواصفاته الشرعية (١٠٩) .

ويبدو أن عودة اليهود بكثرة إلى أورشليم قد أثارت الشك والريبة في نفوس المقيمين بها وولد لديهم شعوراً بالعداء وعدم الود تجاه اليهود ورغم ذلك واصل اليهود عملهم في بناء المذبح وإقامة أسس الهيكل ، وشرعوا في بناء الهيكل نفسه ، إلا أن محاولتهم بناء الهيكل باءت بالفشل ولم يتمكنوا من بنائه طيلة أيام كورش وابنه الذي خلفه على العرش (١١٠) . وكان السبب في ذلك - حسبما يرى البعض - هم السامريون الذين رغبوا مشاركة اليهود بناء هيكلهم لكنهم قبلوا بالرفض من العائدين الذين رأوا فيهم غرباء على اليهودية (١١١) . فما كان منهم إلا أن حرضوا عليهم المسئولين عن المدينة حتى يوقفوا عملية البناء . ويبدو أن اليهود كانوا قد تعدوا بنود

المرسوم الذي أصدره كورش وتحولوا إلى بناء المدينة ذاتها مخالفين بذلك ما كان قد أمر به كورش ، مما دفع المسئولين عن المدينة إلى كتابة رسالة إلى الملك يبلغونه فيها بما يحدث ويحذرونه من مغبة إعادة بناء تلك المدينة ، التي كانت دائمة التمرد مما عرضها للحراب والسبي ، فإذا ما أعيد بناؤها فلن يدفعوا للملك جزية ولا خراجاً ولن يكون له في منطقة ما عبر النهر نصيب (١١٢).

ورغم أن الكاتب قد ذكر فيما أورده أن "ارتخشستا - ארתחששתא" كان هو الملك الذي كان يحكم البلاد في ذلك الوقت إلا أن هناك من الباحثين من يرى أن الملك الذي يُفترض أن يكون على رأس الحكم في ذلك الوقت لا بد وأن يكون قمبيز بن كورش وليس ارتخشستا (١١٣) .

وفور أن تلقى هذا الملك الرسالة أمر ببحث ما ورد بها ، وعندما تأكد له صدق ما ورد بها ، رد عليهم برسالة يأمرهم فيها أن يوقفوا أعمال البناء ويحذره من مغبة أن يقصروا في فعل ذلك (١١٤). وما أن وصلت رسالته إلى "رحوم - רחום" ، "شمشي - שמישי" الكاتب حتى أسرعاً بتنفيذ ما ورد بها . وتم إيقاف العمل في بناء المدينة الذي استمر طيلة حكم هذا الملك . "وبصعود داريوش - דריוש" الذي خلفه في تولي العرش قام زروبابل ويهوشوع بن يهوصاداق بمعاودة البناء من جديد بعد أن تنبأ النبيان ححاي وذكريا ببنائها في عهده (١١٥) . فذهب إليهم "تناي - תנאי" حاكم البلدان الخاضعة لسيطرة الفرس والتي تقع غرب نهر الفرات ، وسأهم عما يفعلونه ، لكنه لم يمنعه عن بناء الهيكل وترميم أسوار المدينة واكتفى بإرسال رسالة إلى داريوش يطلعه فيها على ما يحدث ويسأله عما يجب عليه أن يفعله وقد جاءت رسالته على النحو التالي : "ليكن معلوماً للملك أننا قد ذهبنا إلى بلاد يهوذا إلى بيت الإله العظيم ، فوجدناه يبني بحجارة عظيمة وأخشاب توضع في الجدران والعمل يتم فيه بسرعة ، وهم موفقون في ذلك . حينئذ سألنا أولئك الشيوخ ، وقلنا لهم هكذا : من أمركم ببناء هذا البيت وإكمال هذه الأسوار ؟ كما سألناهم عن أسمائهم كي نخبرك بها ، فكتبنا أسماء رؤوسهم من الرجال . وقد أجابونا بقولهم : نحن عبيد إله السماء

والأرض ، وبنى هذا البيت الذي كان مبنياً قبل ذلك بسنوات كثيرة ، وقد بناه وأكمّله ملك عظيم لإسرائيل ولكن بعد ان أغضب أبائنا رب السماء ، دفعهم إلى يد نبوخذنصر - ملك بابل الكلداني - الذي هدم هذا البيت وسي الشعب إلى بابل. حتى كانت السنة الأولى لكورش - ملك بابل - أصدر كورش الملك أمراً ببناء بيت الرب هذا ، بل إن آتية بيت الرب هذا ، الذهبية والفضية تلك التي أخرجها نبوخذنصر من هيكل أورشليم وأتى بها إلى هيكل بابل ، قد أخرجها كورش الملك من هيكل بابل وأعطاهما لشخص يدعى " شيشبصر - **שִׁשְׁבַצְר** " الذي جعله والياً ، وقال له خذ هذه الآتية وأذهب بها إلى هيكل أورشليم ولين بيت الرب في مكانه . آنذاك جاء شيشبصر هذا ، ووضع أساس بيت الرب في أورشليم ومنذ ذلك الوقت يقومون ببناؤه دون أن يكتمل . والآن إذا طاب الأمر للملك ، فليفتش في بيت خزائن الملك في بابل ليرى ما إذا كان قد صدر أمر من كورش ببناء بيت الرب هذا في أورشليم ، وليرسل لنا ما يراه في ذلك (١١٦) .

ومن المحتمل ألا تكون هذه الرسالة حقيقية ، أو أنها قد تعرضت لبعض النحل من كاتب السفر لأغراض معينة . فتنناي هذا لم يكن يهودياً بل كان ولياً من قبل ملك الفرس على البلدان الواقعة غرب نهر الفرات ، ومع ذلك نجد الكاتب قد أورد على لسانه عبارة " **בֵּית אֱלֹהִים רַבָּא** " بيت الرب العظيم " وهي عبارة ما كان يقوها إلا من كان يهودياً ، كذلك نجده لم يعرقل أعمال البناء كما فعل غيره من قبل وأكتفى بالسؤال عن قانونية ما يقومون به ، فأخبروه عن قدم هيكلهم وأمر كورش الذي صدر ببناؤه وإعادة آتية الذهبية والفضية ، لذا فنحن نميل إلى الاعتقاد بأن هذه الرسالة ربما كانت من وضع كاتب السفر حتى يضيف الشرعية على ما قام به اليهود من أعمال البناء واستعادة آتية الهيكل ومهيئاً لذكر ما سيفعله داريوس لهم بعد ذلك ، حيث سمح لهم بإكمال البناء ، مع تحمله كل نفقات البناء . حيث أورد كاتب السفر جوابه على تنناي في رسالته التي يقول فيها : " والآن ياتتناي والي عبر النهر وشتربوزناي ورفقاء كما الذين في عبر النهر ، ابتعدوا من هناك ، اتركوا عمل بيت الرب هذا . أما والي اليهود وشيوخ

اليهود فليبنوا بيت الرب هذا في مكانه . وقد صدر أمر مني بما ستعملونه مع شيوخ اليهود هؤلاء في بناء بيت الرب ههنا ، فمن مال الملك من حزية عبر النهر تعط النفقة عاجلاً هؤلاء الرجال حتى لا يبطلوا ، وما يحتاجونه من الثيران والكباش والخراف محرقة لإله السماء ، وحنطة وملح وحمز وزيت حسب قول الكهنة في أورشليم لتعط لهم يوماً بيوم حتى لا يهدأوا عن تقريب ووائح سرور لآله السماء والصلاة لأجل حياة الملك وبنه . وقد صدر مني أمر إن كل إنسان يغير هذا الكلام تسحب خشبة من بيته ويعلق مصلوباً ويجعل بيته مزبلة من أجل هذا . والرب الذي أسكن اسمه هناك يهلك كل ملك وشعب يمد يده لتغيير أو لهدم بيت الرب هذا الذي في أورشليم . أنا داريوس قد أمرت فليفعل عاجلاً (١١٧)

ونحن نرى أن هذه الرسالة - كسابقتها - قد أصابها النحل والتزوير ، فهي تشتمل على بعض الاعتقادات الخاصة باليهود ، التي تبعد أن تصدر من ملك وثني ، كالإيمان بأن الرب يسكن في أورشليم (١١٨) ، كما تشتمل على عصبية لا داعي لها من ملك وثني لا يؤمن باليهودية ، كي يأمر بأن يُصلب يغير كلامه ببناء المعبد ومساعدة اليهود في ذلك ، وأن يخرب بيته ، إلى جانب هذا البذخ الملكي الذي بالغ كاتب السفر في وصفه (١١٩) .

وما إن وصلت الرسالة - حسبما يروي كاتب سفر عزرا - حتى أسرع تنهاي بتنفيذ ما جاء بها ، وهرع اليهود إلى البناء حتى انتهوا منه في الثالث من شهر آذار من السنة السادسة من حكم الملك داريوش ، وأقاموا أفراحهم وقربوا قرابينهم وأقاموا طقوسهم حسبما ترى شريعتهم (١٢٠) . ثم بدأ عزرا الاستعداد للعودة إلى القدس ، ومعه من تبقى في السبي من يهود وكهنة ولاويين وغيرهم ، حتى وصلها في الشهر الخامس من السنة السابعة من حكم أرتخشستا الذي خلف داريوش في حكم الفرس ، وهو يحمل منه رسالة تسمح لمن يرغب من أهل السبي بالعودة إلى القدس وبإقامة شريعة ربه ويحمل ما تبرع به الملك من ذهب وفضة ، مع إعفائهم مما يفرض على غيرهم من

جزية وخراج ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد - بل وحسبما يدعي كاتب سفر عزرا -
وبالحكم بالموت أو بالسجن أو بالغرامة على من يخالف شريعة الرب (١٢١).
ولا تختلف رسالة أرتحمشستا - التي حملها عزرا عند عودته عند سابقتها - حيث
نشتم منها رائحة التزوير ، فما الذي يدفع ملكاً أو ثنياً إلى استخدام بعض من تعبيرات
الاعتقاد اليهودي كرب السماء مثلاً ، وما الذي يدفعه إلى التشديد على ضرورة تنفيذ
شريعة ربهم ومعاقبة كل من لا ينفذها موتاً أو حبساً أو بالغرامة ، هذا إذا غضضنا
الطرف عن هذا البذخ الملكي بدفع كل ما يحتاجه بناء هيكل اليهود ، وإعفاء كل من
يعمل في بنائه من دفع الجزية . ومع ذلك فهناك من يرى أنه بدون مثل هذه الرسالة ما
كان لعزرا أن ينجح في الانتقال بأعداد ضخمة من اليهود من بابل إلى مملكة يهوذا ()
١٢٢) . ومع تسليمنا بضرورة وجود رسالة ما مع عزرا وقت قيامه بما عمله ، لكننا
نشك في أن ما ورد بها من أوامر ملكية كان يمثل كل الحقيقة ، ونميل إلى الاعتقاد أن
كاتب السفر قد عمد إلى المبالغة في سرد تفاصيل هذه الرسالة حتى يمهّد لما قام به عزرا
من تعديلات في الحياة اليهودية من إعادة كتابة شريعتهم وطرد من انتسب إليهم من
نساء أجنبيات .

الخاتمة

بعد دراسة موضوع "رسائل الملوك في المقر" ، يمكننا أن نحدد عدداً من النتائج
نعرضها فيما يلي :

أولاً : عرف اليهود القدماء التراسل منذ فترة قديمة للغاية ، شأنهم في ذلك شأن
شعوب الشرق القديم ، لكنهم لم يكونوا في ذلك من المبدعين ، بل نجدهم قد صاروا في
تراثهم خلف الشعوب التي عاشوا بينها وتأثروا بها . وبرز هذا التأثير من خلال نقاط
عدة وهي :

أ - مسميات رسائلهم ، حيث استخدم اليهود القدماء عدداً من المسميات التي تعود في أصلها إلى لغات سامية ككلمة " 𐤀𐤍𐤏𐤔 " التي استعيرت مادتها من اللغة الآشورية ، " 𐤌𐤕𐤕𐤁 " التي اكتسبت معنى الشيء المكتوب تحت تأثير الآرامية في فترة ما بعد السبي ، إلى جانب كلمة " 𐤀𐤎𐤁𐤏𐤔 " التي ترد في الأسفار التي تدور أحداثها خلال الحكم الفارسي ، وكلمات تعود في أصلها إلى لغات هندوأوروبية ككلمة " 𐤁𐤔𐤏𐤕𐤏𐤕 " التي استعارتها العبرية من اللغة الفارسية ، والتي استخدمت استخداماً عارضاً خلال فترة الحكم الفارسي .

ب - أشكال الرسائل ، حيث عرف اليهود شكلين من أشكال الرسائل هما الشكل الشفهي والشكل التدويني ؛ ويعتبر الشكل الشفهي أقدم أشكال التراسل عندهم ، حيث ظهر للمرة الأولى في المقرأ من خلال رسالة يعقوب إلى أخيه عيساو ، ثم استمر هذا الشكل ملازماً لليهود حتى بعد أن تحولوا إلى الشكل التدويني للرسالة ، بعد قيام المملكة التي تتطلب إنشاؤها تكوين جهاز إداري يعاون الملك في إدارة شئون المملكة ، على غرار ما كان يحدث لدى ممالك الشرق القديم ؛ وكانت من بين وظائف هذا الجهاز ، وظيفة الكاتب الذي كان من أهم مهامه القيام بكتابة رسائل الملك وإعداد الوثائق الرسمية .

ج - طرق إبلاغ الرسائل ، فقد اعتاد اليهود إرسال رسائلهم على طريقتين ، الأولى : إبلاغها من خلال رسول أطلقوا عليه مصطلح " 𐤌𐤕𐤕𐤁 " الذي كان يقوم بإبلاغها شفاهة إلى المرسل إليه حتى وإن كانت مدونة ، وقد تأثروا في ذلك بطريقة الأكاديين القدماء في إبلاغ رسائلهم ، أما الطريقة الثانية فهي إرسالها مدونة بواسطة ساع يسمى " 𐤏𐤕 " الذي كان أحياناً ما كان يمتطي الجياد عند قيامه بذلك ، وهي طريقة لم تظهر عندهم إلا خلال الحكم الفارسي لهم مما يبين تأثرهم بالفرس في ذلك . وتجدر الإشارة هنا إلى أن مصطلح " 𐤌𐤕𐤕𐤁 " لم يرد له في المقرأ ما يدل على أصله في اللغة العبرية ، لكننا نجد مقابلاً له في اللغة العربية "ملك" الذي يعود أصله إلى كلمة "مألك" التي حلت الهمزة فيما محل اللام فصارت "ملاك" ثم خففت الهمزة فصارت

"ملك" والاسم ملأك هي المقابل العربي لكلمة "מלך" الذي اشتق من مادة ألك الذي يدل على معنى حمل الرسالة لإبلاغها شفاهه مما يدل على سامية الكلمة ، واحتفاظ العربية بمادتها وفقد العبرية لها .

د - عادة ختم الرسائل ، اعتاد ملوك المقرأ أو من يقوموا مقامهم ختم رسائلهم بخاتم الملك للدلالة على صدق ما ورد بها وإلزام مستقبلها على تنفيذ ما جاء فيها ، وهي عادة كانت متبعة في الرسائل الآشورية القديمة مما يبين أيضاً تأثير العبريين بهم في ذلك

هـ - بنية الرسائل ، لم تختلف رسائل الملوك في المقرأ كثيراً عن رسائل الشرق القديم وخاصة الأكديّة منها ، فقد اشتملت مقدماتها على افتتاحيات تبين اسم المرسل والمرسل إليه كعنصر أساسي على النحو الذي كان سائداً في الرسائل الأكديّة القديمة ، إلا أن هذا العنصر لا يرد صراحة سوى في عدد قليل من رسائل المقرأ بينما نجده كثيراً ما كان يخضع لتأثير السياق الذي يورد خبر الرسالة ، فيرد ضمناً في إطار ما يرويه الكاتب حول الرسالة ، كذلك لم يرد هذا العنصر على شكل ثابت خلال تاريخ اليهود ، ففي فترة الحكم الفارسي نجدهم أحياناً يذكرون اسم المرسل دون المرسل إليه أو اسم المرسل إليه دون المرسل ، اعتماداً على السياق الذي نعرف منه الطرف الثاني . كما اشتملت افتتاحيات بعض الرسائل على عنصر البعديّة الذي ظهر في الرسائل الآرامية التي عثر عليها في جزيرة القيلة في مصر والتي يرجع زمنها إلى القرن الخامس ق . م

ورغم تأثير اليهود بغيرهم في كتابة رسائلهم إلا أننا نجد في رسائلهم بعض الخصوصيّة لم نعثر عليها لدى غيرهم ، وهي استخدام أحد ملوكهم للمثل الخرافي في صياغة مقدمة رسالته ، على نحو لم يرد عند غيره من ملوك المقرأ أو في رسائل الشرق القديم .

وكان للانتقال من المقدمة إلى الموضوع صيغ وطرق تختلف باختلاف إبلاغ الرسالة ، فإذا كانت الرسالة شفهيّة وجدنا موضوعها غالباً ما يبدأ ببعض العبارات التي تدل على معنى الإبلاغ والقول ، مثل " כה תאמרוּ " و כה אמר " ، أما إذا كانت

مدونة وجدنا موضوعها يبدأ أحياناً بعلامة تدل على الدخول في الموضوع مثل "וְעַתָּה" ، "וְכַלְכַּלְתִּי" ، وأحياناً أخرى يرد مباشرة دون علامة اعتماداً على السياق الذي سرد فيه الكاتب خبر رسالته.

ولم تشتمل رسائل المقرا على صيغ ثابتة يمكن اعتبارها من العبارات التي تنسم بها الخاتمة بل كان الكاتب غالباً ما ينهي الرسالة بنهاية موضوعها .

ثانياً - تقدم رسائل ملوك المقرا صوراً من صور الفساد الأخلاقي والديني الذي كان سائداً في البلاط الملكي ، إلى جانب بعضاً من حقائق الصراع الذي كان ينشب بين مملكتي اليهود ، والصراع الذي كان ينشب بينهما وبين الممالك المجاورة ، وقصة إعادة بناء الهيكل خلال الحكم الفارسي لليهود . وفيما يخص النقطة الأخيرة نجد كتاب المقرا قد أدخلوا على رسائلهم بعضاً من التزوير والنحل حتى يضيفوا الشرعية على ما قاموا به من دعوة لأورشليم من بابل أيام الحكم الفارسي ، وبناء هيكل لهم فيها من جديد ، وهو الأمر الذي يبين مدى فهم كتاب المقرا لأهمية الرسائل كوثائق قانونية وتاريخية مهمة .

الهوامش:

- ١- Fohrer, Goerg : Einleitung in das A.T. Zwolfte, uberarbeitete und erweiterte Auflage. Q & M Heidelberg . 1979. s 68.
- ٢- האנציקלופדיה המקראית: אוצר הידיעות של המקרא ותקופתו. מיסודם של מוסד ביאליק של הסוכנות היהודות לארץ ישראל. ובית הנכות לעתיקות היהודים : האוניברסיטה העברית: הוצאת מוסד ביאליק -ירושלים. עמי ٩٦٧
- ٣- سليم حسن : الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة. القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ١٩٤٥ ، ج ١ صص ٣٣٠ - ٣٣١ .
- يبدأ عصر الدولة القديمة من ٢٨٥٠ حتى عام ٢٠٥٢ قبل الميلاد ، وهي تشمل الأسرات من الأولى حتى الثامنة ، أما الدولة الوسطى فيبدأ عصرها من عام ٢٠٥٢ حتى ١٧٧٨ قبل الميلاد وهي تشمل الأسرات الحادية عشرة والثانية عشرة . بينما يبدأ عصر الدولة الحديثة من ١٦١٠ قبل الميلاد حتى عام ٧١٥ ق م. ، وهي تشمل الأسرات من السابعة عشرة حتى الرابعة والعشرين ؛ (أنظر الكسندر شارف : تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الإسكندرية . ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، راجع ترجمة الدكتور مراد كامل ، سلسلة الألف كتاب رقم ٢٥٢ ، صص ١٨٥ ، ١٨٦) .
- ٤- الكسندر شارف : تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الإسكندرية . ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، راجع ترجمة الدكتور مراد كامل : سلسلة الألف كتاب رقم ٢٥٢ ، ص ١٤١ .
- ٥- سليم حسن : الأدب المصري القديم . ج ١ ص ٣٣٢ .
- ٦- المرجع السابق ، ج ١ ص ٣٣٣ .
- ٧- المرجع السابق ، ج ١ ص ٣٣٦ هـ ٢ .

٨- ديلايسورت ، ل : بلاد ما بين النهرين ، الحضارتان البابلية والآشورية ، ترجمة
عمر كمال مراجعة دكتور عبد المنعم أبو بكر سلسلة الألف ، كتاب رقم ٣٥
، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب ومطبعها بالجماميز ، بدون سنة طبع . ص
٢٥٩ .

٩- المرجع السابق ص ٤٢٢ .

١٠- האנציקלופדיה המקראית : ע"ע מכתב . עמ 972 .

: Einleitung in das A.T : 4 - Auflage, Eissfeldt, Otto
Unveränderte der 3. neubearbeiteten Auflage. 1976 J. C .
Mohr (Nachdruck Paulsibek0 Tübingen S 27.

١١- سفر التكوين ٣٢ / ٣-٥

١٢- سفر العدد ٢٠ / ١٤-١٧ ، ٢١/٢١

١٣- سفر صمويل الثاني ١١ / ١٤-١٥

• * إيزابل تسمى في العبرية "אִיזָבֵל" هي ابنة أحد الملوك الصيدونيين ، التي
تزوجها أحاب ملك إسرائيل . عُرف عنها جبروتها وقساوة قلبها وتدخلها في
إدارة شئون الحكم . وقد كان لتربيتها الوثنية أثرها في إدخال عبادة البعل
والأصنام إلى مملكة إسرائيل.

(أنظر - מנחם סוליאלי : לכסיקון מקראי. הוצאת דבר .ע"ע איזבל)

• ** أحاب يسمى في العبرية (אָחָב) هو ابن ملك عُمرى وخليفته على مملكة
إسرائيل الشمالية . استمر ملكه عليها إلى ما يقرب من اثنين وعشرين سنة .
تزوج من إيزابل ، وسار خلفها في عبادة الأصنام والبعل ، وأقام المذابح
للمعبودات الصيدونية وكان أكثر ملوك إسرائيل معصية للرب . وقد عاقبه
الرب بمحاربة شق أمرها على السامرة حتى أرسل الرب إليه اليليا النبي الذي
وبخه على عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ، وطلب إليه أن يقتل خدمة

- السجل حتى يرفع الرب عقابه ففعل . وفي عهده دارت رحى الحرب بينه وبين بنهدد ملك الآراميين ، وفيها استطاع أحاب من هزيمته والقضاء على جيشه .
- (أنظر - جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس - المجلد الأول - طبعة بيروت ١٨٩٤ صص ٤٠-٤١) .
- ١٤- سفر الملوك الأول ٢١ / ٨-١١
- ١٥- سفر الملوك الثاني ١٤ / ٨-١٥
- * "أمصيا" أحد ملوك يهوذا ، وهو ابن يهوآش وخلفه ، تولى الحكم عندما بلغ من العمر خمسة وعشرين عام ، واستمر حكمه تسعة وعشرين عاما .
- (أنظر - جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس - المجلد الأول - طبعة بيروت سنة ١٨٩٤ صص ١٤٢-١٤٣) .
- ** "يهوآش - יְהוֹאָش) هو يهوآش بن يهوآحاز ملك إسرائيل ، تولى الحكم في الفترة من ٧٩٨ حتى ٧٨١ ق . م . في أيامه ضعفت مملكة آرام بسبب غزو آشور لها ، فاستغل هذا الضعف واسترد المدن الشمالية التي احتلها الآراميون في عهد والده (ملوك الثاني ١٣ / ٢٥) .
- *** "حزقياهو" ويسمى بالعبرية "—" أو "—" أو "—" هو ابن أحاز من امرأته أيبا بنت دكريا . تولى حكم مملكة يهوذا طيلة تسعة وعشرين عاما ، في الفترة من ٧٢٧ حتى ٦٩٨ قبل الميلاد .
- (أنظر - منחם סוליאלי : לכסיקון מקראי . הוצאת דבר . ע'ל הוואש)
- ١٦- سفر الملوك الثاني ١٩ / ٨-١٤ ؛ ٣٧ / ٨-١٤ ؛ أيضاً - سفر أخبار أيام الثاني ٣٢ / ١٧-١٧ سفر إرميا ٢٩ / ٣٠-٣٢ .
- ١٨- سفر إستر ٨ / ٥-١٤
- * "كورش" هو مؤسس المملكة الفارسية . وهو ابن قمبيز وابن أخي داريوس . جمع في شخصه قوة مملكتي فارس ومادي . ويرى كاتب قاموس الكتاب المقدس أن الله قد جعله آلة لإجراء عدد من المقاصد الخيرية نحو اليهود . فقد احتل بابل عام ٥٣٨ ق . م ، وسمح لليهود بالعودة إلى القدس وبناء هيكلهم فيها . وقد مات عام ٥٢٩ ق . م .

(أنظر - جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس - المجلد الثاني - طبعة بيروت ١٩٠١ ص ٢٧٦) .

١٩- أنظر سفر عزرا ٤ / ٦-١١ / ٤٤١١-١٧ / ٥٤٢٢-٦ / ١٧-١٢ / ٢٦

٢٠- يرد هذا الاسم في المقر للدلالة على عدد من المعاني منها :

أ- "كتاب" أو ما يقابل في اللغة العبرية كلمة "سفر" ، وفي الآرامية "ספרא" وهو أكثر معاني هذا الاسم وروداً في لغة المقر ، وقد ورد على هذا المعنى في سفر الخروج ٣٢ / ٣٢ ، حيث يقول كاتبه : "וַיֹּאמֶר יְהוָה אֶל - מֹשֶׁה מִי אֲשֶׁר חָטָא - לִי אֲמַחְנוּ מִסִּפְרִי" وقال الرب لموسى : من أخطأ إلي سوف أمحوه من كتابي .

ب- كما يرد للدلالة على معنى اللوح أو اللقيفة ، على نحو ما ورد في سفر العدد ٢٣ / ٥ من قول الكاتب : "כתב את האלות האלה הכוהן במפר ומחה אל - מי המרים" ويكتب الكاهن هذه اللعنات في الكتاب (اللقيفة) ثم يحوها في الماء المر .

○ كما يرد للدلالة على معنى الوثيقة ، على نحو ما ورد في سفر التثنية ١ / ٢٤ ، من قول الكاتب : כי - יקח איש אשה ובעילה והיה אם - לו תמצא חן בעיניו כי מצא בה ערות דבר וכתב לה ספר כריתת ונתן בידה ושלחה מביתו إذا أخذ رجل امرأة ولم تعجه ، لأنه وجد بها عيباً ، وكتب لها كتاب (وثيقة) طلاق أعطاه إياه وسرحها من بيته....."

د- كما يرد للدلالة على معنى الخط مرادفاً بذلك لكلمة "כתב" في اللغة العبرية ، على نحو ما ورد في سفر دانيال ١ / ١٧ ، من قول الكاتب הילדים האלה ארבעתם נתן להם האלוהים מדע והשפיל בכל ספר וחכמה" وهؤلاء الأولاد الأربعة قد وهبهم الرب علماً وعقلاً في كل خط وحكمة .

٢١- سفر صمويل الثاني "١٤ / ١٥" ؛ سفر صمويل الأول "٢٥ / ١٠" سفر الملوك الثاني "٥ / ٧-٥" ؛ "١٠ / ٢-٢" ، "٦-٧ ، ٢٥" ، "٢٠ / ١٢" ؛ سفر إرميا "٣ / ٨ ، ٣٢ / ١٦ ، ١٤ ، ١٢ ، ١١" ، "٢٩ / ٢٥" ، سفر الملوك الأول "٢١ / ٨-٩" ، سفر أشعيا "٣٧ / ١٤" ، "٣٩ / ١" ، "٥٠ / ١" ، سفر استير "٨ / ١٠" ؛ "٩ / ١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٢" ؛ "٣ / ١٣" ، سفر أخبار الأيام الثاني "٣٢ / ١٧" . ابن شوشن' أبراهام : كوناوردنציה חדשה לתנ"ך - אוצר לשון המקרא ' הוצאת' קרית ספר' בע"מ ירושלים 1987 .
ע"ע ספר

٢٢- ترد المادة اللغوية لكلمة "ספר" في لغة المقرأ للدلالة على عدد من المعاني منها :

א- أحصى على نحو ما يرد في سفر التكوين 15/5 ، سفر اللاويين 15/13

ב- روى ، قص ؛ وبخاصة في وزن "פעל" على نحو ما يرد في سفر التكوين 24/66 ،

29/13 . انظر : אליעזר בן יהודה : מלון הלשון העברית הישנה

והחדשה -' ניו יורק -טומס יוסלوف - לונדון . ע"ע ספר ' עמי 4188

4184-

٢٣- Gesenius' Wilhelm: Handwörterbuch über das A.T:

Zwollfte Vollig Umgearbeitete Auflage Leipzig. Verlag

Von F.C.W Vogel 1895 . S 541

٢٤- " האנציקלופדיה המקראית : ע"ע מכתב . עמ 966

٢٥- " סגל-מ . צ : מבוא המקרא . הוצאת " קרית ספר " - בע"מ -

ירושלים - 1987 . עמ' 843 מספר 4 בשולי

٢٦- "ورد هذا الاسم على هذا المعنى في سفر الخروج ١٦/٣٢" حيث يقول كاتبه " והלוחות

מעשה אלוהים המה והמכתב מכתב אלוהים הוא חרות על - הלוחות

. أما الألواح فهي من عمل الرب ، والخط خط الرب منقوش على الألواح " كما يرد هذا المعنى

في سفر الخروج ٣٠/٣٩ ، سفر التثنية ١٠ / ٤

٢٧- : אליעזר בן יהודה : מלון הלשון העברית הישנה והחדשה . ' ע"ע

מכתב עמי ، 3001 .

٢٨- שם שם עמ' 3001 .

٢٩- האנציקלופדיה המקראית : ע"ע מכתב . עמ 966

٣٠- אליעזר בן יהודה : מלון הלשון העברית הישנה והחדשה ' ע"ע אגרת

עמי 50

٣١- אוצר ישראל - אנציקלופדיה לכל מקצועות תורת ישראל ספרותו

ודברי ימיו בעשרה כרכים . ע"י יהודה דוד א"ז ענשטין . בהוצאת

שאפירא ואלנשטין ושותפיו . לונדון - 1935 . ע"ע אגרת - עמי 125 .

32- אוצר ישראל ע"ע אגרת - עמי 125

33- אליעזר בן יהודה : מלון הלשון העברית הישנה והחדשה -' ניו יורק

-טומס יוסלوف - לונדון . ע"ע אגרת - עמי 50 מסבר 1- בשולי .

34-S9 Gesenius, Wilhelm: Handwörterbuch uber das A.T. وأيضا :

"האנציקלופדיה המקראית : ע"ע מכתב . עמ' 967"

Gesenius, Wilhelm: Handwörterbuchuber das A.T. S520-35

36- سفر عزרא 4/7

37- د/ محمود المقداد : تاريخ التراسل النثري عند العرب في الجاهلية . دار الفكر المعاصر ، بيروت

دار الفكر ، دمشق ، سوريا . الطبعة الأولى 1993 ص 122.

38- سفر التكوين 3/5

39- سفر العدد 20/14-17

40- سفر الملوك الأول 20/2-12

41- سفر الملوك الثاني 14/8-11

42- سفر الخروج 24/4 17/14

43- "מגחם סוליאלי-מושה ברכוז' לכסיקון מקראי . (הוצאת דביר

1986) עמ' 627 - 628 . وأيضا سغل - م . ص ' מבוא המקרא : עמ' 197 .

44- سفر صمويل ثاني 11/14-15

45- سفر الملوك الأول 21/8-10

46- האנציקלופדיה המקראית . ע"ע . עמ' 967 .

47- سفر إستير 8/8

48- غانم حواد رضا ، الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي ، (رسالة

ماجستير مطبوعة . رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد 1978) . ص 31

49- سفر الأمثال 13/17

50- אליעזר בן יהודה מלון הלשון העברית הישנה והחדשה כ-ד-ניו

יורק-טומס יוסלוף-לונדון) ע"ע מלאך עמי 3013-3014

51-S423 Gesenius, Wilhelm: Handwörterbuchuber das A.T.

422

52- بن فارس ، أحمد بن ذكيا : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبد السلام هارون ، الجزء

الأول ، الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه . ج الأول ،

ص 132 .

53- المرجع السابق .

٥٤- المرجع السابق .

٥٥- ابن منظور : لسان العرب المحيط . اعداد وتصنيف : يوسف خياط ، ندلم مرعشلي ص ٨٥

٥٦- المرجع السابق .

٥٧- سفر التكوين ٤/٣٢-٥ .

٥٨- Eissfeldt, Otto: Einleitung in das A.T:S29

* "سنحاريب" هو ملك آشور في عهد حزقيا ملك يهوذا ، كانت مدة حكمه ثلاثة وعشرين عام تقريباً من عام ٧٠٥ حتى عام ٦٨٢ قبل الميلاد . كانت فترة حكمه مجد لمملكته ، اسحق بابل وغزا وصيدا ، وفرض الجزية على الكثير من المدن . وقد جعل من نينوي عاصمة لمملكته ، وزينها بقصوره الفاخرة . (انظر - جوج بوس : قاموس الكتاب المقدس . ج ١ ص ٥٨٦-٥٨٧).

٥٩- سفر الملوك الثاني ١٩ / ٩-١٤

٦٠- אליעזר בן יהודה : ملون הלשון העברית הישנה והחדשה " עמי

6694-6693

٦١- سفر استير ٨ / ١٠

٦٢- د/ محمود المقداد : المرجع السابق ، ص ١٦١

٦٣- سليم حسن : المرجع السابق ج ١ ص ٣٣٦ هـ ٢

٦٤- האנציקלופדיה המקראית: ע"ע מכתב . עמ 968 .

٦٥- שם שם עמי 968 .

67- האנציקלופדיה המקראית: ע"ע מכתב . עמ 968-969.

68- שם שם עמי 969 .

٦٩- שם שם עמי 969 970-

70- האנציקלופדיה המקראית: ע"ע מכתב . עמ 970

71- שם שם עמי 971 .

72- שם .

73- שם עמי 962

٧٤- سفر التكوين ٤/٣٢

٧٥- سفر العدد ٢١/٢١

٧٦- سفر الملوك الثاني ١٠/٢-٤ أنظر أيضاً كدليل على ذلك ، رسالة إيزابيل في ملوك أول ٢١/٢

٨-١٠ ، ورسالة داود في سفر صمويل الثاني ١١/١٤-١٥ .

٧٧- سفر الملوك الثاني ٩/١٤ .

٧٨- سفر عزرا ١١/٤ .

* "داريوش" يسمى في العبرية "דריש" وهو داريوس الأول الذي تولى الحكم بعد موت قمبيز في الفترة من ٥٢٢ حتى ٤٨٦ قبل الميلاد ، ويبدو أنه كان رجلاً ناجحاً من الناحية الإدارية ، حيث حرص على تطوير طرق المواصلات وتحسين الحياة الاقتصادية في مملكته ، وبني الكثير من القصور الفاخرة في شوشان ، لكنه لم ينجح على المستوى العسكري . وكانت علاقته باليهود جيدة ، حيث سمح لهم بمزاولة بناء الهيكل بل خصص لهم من خزائن مملكته ما يعينهم على ذلك . ويقال أن الهيكل قد أفتح مرة أخرى في السنة السادسة من حكمه أي عام ٥١٧ ق.م .

(أنظر : מנחם סוליאלי משה ברכוז : לכסיקון מקראי . ع 235)

٧٩- سفر عزرا ٧/٥

(أنظر أيضاً: S 92 : Fohrer, Goerg: Einleitung in das A.T)

** "أرتخشستا" هو أرتخشستا الأول ابن أحشويروش الأول الذي تولى الملك في الفترة من ٤٦٥ حتى ٤٢٤ قبل الميلاد . وهو الملك الذي منح عزرا تصريحاً بالهجرة من بابل إلى القدس ، - للإعداد لإقامة اليهود فيها من جديد ، كما سمح لنحميا ببناء أسوار القدس . وقد عاش اليهود في أيامه حياة هادئة في كل أنحاء مملكته .

(أنظر : מנחם סוליאלי -משה ברכוז : לכסיקון מקראי . ع 122)

٨٠- سفر عزرا ١٢/٧

٨١- سفر عزرا ٧/٥

٨٢- האנציקלופדיה המקראית: ע"ע מכתב . עמ 972

٨٣- سفر التكوين ٥/٣٢ ، وسفر العدد ١٤/٢٠ ، سفر الملوك الثاني ١٩/٨ .

٨٤- انظر : سفر الملوك الأول ٢١/٨-١٠ ، سفر صمويل الثاني ١١/١٤-١٥ .

٨٥- انظر : سفر صمويل الثاني ١١/١٥ ، سفر الملوك الأول ٢١/٩-١٠ .

٨٦- انظر : سفر عزرا ١١/٤ ، ٦/٦ ، ١٢/٧ .

٨٧- انظر سفر الملوك الأول ٢٠/١١ .

٨٨- سفر الملوك الأول ٢١/٨-١٠ .

- 89- منہم سولیالی -مשה بרכو: לכסיקון מקראי . עמי 39-40 .
 90- קויפמן -יחזקאל : תולדות האמונה הישראלית . הוצאת מוסד
 ביאליק ירושלים -דביר תל-אביב. הדפסה עשירית . תשל"ו . כ' א עמי
 0671-670

* "ياهو" ويسمى في العبرية "ياهو" وهو ابن يهو شافاط بن نمش . تولى الحكم في الفترة من ٨٤١ حتى ٨١٤ قبل الميلاد ، وقام بتأسيس الأسرة الرابعة في مملكة إسرائيل الشمالية . كان قبل تنصيبه ملكاً قائداً للحيث ، وعندما ثار أنبياء المملكة على بيت أحاب اتجهوا إليه ونصبوه ملكاً عليها وطالبوه بالقضاء على بيت أحاب .

(أنظر - منہم سولیالی -مשה بרכو: לכסיקון מקראי . עמ' 332)

٩٢- سفر الملوك الثاني ١٠/١-٣

٩٣- سفر الملوك الثاني ١٠/٥

٩٤- سفر الملوك الثاني ١٠/٦

٩٥- سفر الملوك الثاني ١٠/٧-٨

96- منہم سولیالی -مשה بרכو: לכסיקון מקראי . עמ' 333

٩٧- سفر الملوك الثاني ١٤/٨-١١ .

98- منہم سولیالی -مשה بרכو: לכסיקון מקראי . עמ' 272

99- שם שם עמי 333

* "رازون بن الیداع" أحد رجالات هدرعازر ملك آرام صوبا ، هرب من سيده ثم جمع رجالا وأنجه صوب دمشق وتوج نفسه ملكا عليها . وقد كان طيلة حياته عدوا لبني إسرائيل طوال عصر سليمان
 (أنظر - منہم سولیالی -مשה بרכو: לכסיקון מקראי . עמ' 803)

* "بعشا" "בעשא" هو ابن احيامن سبط يساكر ، تولى الملك على مملكة إسرائيل الشمالية في السنة الثالثة من حكم اسما ملك يهوذا ، ويقال أنه تولى الملك طيلة أربعة وعشرين عام ويقال أيضاً عشرين عاما . تأمر على ناداب بن يربعام أثناء المعركة ضد حبتون الفلسطينية ، ثم أباد بيت يربعام كله .

(أنظر - منہم سولیالی -مשה بרכو: לכסיקון מקראי . עמי 173)

(أيضاً - جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس - ج١ ، ص ٢٣٥)

١٠٠- شمس شمى عمى 81.

١٠١- سفر الملوك الأول ١/٢٠-٣.

١٠٢- سفر الملوك الأول ٥/٢٠-٦.

١٠٣- سفر الملوك الأول ١٠/٢٠.

١٠٤- سفر الملوك الأول ١٢/٢٠.

١٠٥- سفر الملوك الأول ٢٢/٢٠-٣٤.

١٠٦- سفر الملوك الثاني ١٩/١٠-١٤.

١٠٧- منحم سولياىلى-مשה بركو: لكسيكون مكرائى. عمى 283.

١٠٨- كويپمن-يخزكال: تولدوت האמונה הישראלית. כ"ח عمى 168.

* "زوبابل" هو زروبابل بن شالتييل الابن البكر ليهوياكين ملك يهوذا ، وكان على رأس العائدين من السبي البابلي . وينقسم الباحثون حول شخصيته ، فمنهم من يجعل منه شيشبصر رئيس يهوذا ، ومنهم من يعترض على ذلك إعتقاداً منهم بأن شيشبصر هذا كان من العائدين خلال الهجرة الأولى ، بينما عاد زروبابل بعده حيث ولى حكم يهوذا ٥٢٠ قبل الميلاد .

(أنظر -منحم سولياىلى-مשה بركو: لكسيكون مكرائى. عمى 263

** "يهوشوع بن يهوصاداق - كاهن كبير من العائدين من بابل أيام زرو بابل . أشرف على بناء الذبح ، واستأنف تقديم القرابين على المذبح الدائمة في الهيكل ، وأعاد للآوين حراستهم. دار بينه وبين زروبابل نزاع حول زعامة الجماعة اليهودية العائدة من بابل ، وقد أنتهى هذا النزاع بفوزه بالآنفرد بقيادة هذه الجماعة بفضل القيادة الدينية والروحية .

(أنظر - منحم سولياىلى-مשה بركو: لكسيكون مكرائى. عمى 377).

١٠٩- كويپمن-يخزكال: تولدوت האמונה הישראלית. כ"ח عمى 191

١١٠- شمس عمى 191, 194.

١١١- شمس عمى 194.

١١٢- سفر عزرا ١١/٤-١٦.

١١٣- كويپمن-يخزكال: تولدوت האמונה הישראלית. כ"ח عمى 209.

١١٤- سفر عزرا ١٨/٤-٢٢.

١١٥- أنظر: سفر عزرا ٤/٢٣-٧/٥.

١١٦- سفر عزرا ٨/٥-١٧.

- ١١٧- سفر عزرا ٦/٦-١٢.
- ١١٨- أنظر: سفر عزرا ٦/١٢.
- ١١٩- أنظر: سفر عزرا ٦/١١.
- ١٢٠- سفر عزرا ٣٦/١٣-٢٢.
- ١٢١- سفر عزرا ٧/١-٢٦.
- ١٢٢- كوفمان -يخزقال : تولדות האמונה הישראלית. כ"ח עמ' 280.

المصادر والمراجع

أولاً - المراجع العربية

- الكسندر شارف : تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الإسكندرية . ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، راجع الترجمة الدكتور مراد كامل ، سلسلة الألف كتاب رقم ٢٥٢ .
- ديلاپورت ، ل: بلاد ما بين . النهرين الحضارتان البابلية والآشورية . ترجمة محرم كمال ، مراجعة د/ عبد المنعم أبو بكر . سلسلة الألف كتاب رقم ٣٥ ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب ومطبعتها بالجمايز . بدون سنة طبع .
- سليم حسن : الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة . الجزء الأول . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى القاهرة : ١٩٤٥
- فايمز عبد النبي فلاح القيسي : أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري . دار البشير للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى (الأردن - عمان ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م)
- عمود المقداد (دكتور) : تاريخ التراسل النثري عند العرب في الجاهلية . دار الفكر المعاصر ، الطبعة الأولى (بيروت - دار الفكر) ، (سوريا - دمشق ١٩٩٣)
- غنام جودا رضا : الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي . رسالة ماجستير مطبوعة . رقم الإيداع في المتبة الوطنية - ببغداد : ١٩٧٨
- المعاجم العربية
- ابن منظور : لسان العرب المحيط . إعداد وتصنيف يوسف خياط ، نديم مرعشلي .
- ابو الحسين أحمد بن فارس بن ذكرى : معجم مقاييس اللغة . تحقيق وضبط عبد السلام هارون (الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية) عيسى بن البابي الحلبي وشركاه
- بوست ، جورج : قاموس الكتاب المقدس . (المجلد الأول - طبعة بيروت عام ١٨٩٤ ، المجلد الثاني - طبعة بيروت عام ١٩٠١)

ثانياً - المصادر العبرية

- ספר תורה נביאים וכתובים .

المراجع العبرية

- סגל-מ.צ : מבוא המקרא . הוצאת "קרית ספר" - בע"מ - ירושלים -

1987

- סוליאלי מנחם - משהברכו : לכסיקון מקראי . הוצאת דביר 1986 .

- קויפמן - יחזקאל : תולדות האמונה הישראלית . הוצאת מוסד ביאליק

ירושלים

- דביר תל-אביב . הדפסה עשירית תשל"ו .

المعاجم ودوائر المعارف العبرية

- אבן שושן אברהם : קונקורדנציה חדשה לתנ"ך - אוצר לשון

המקרא ; הוצאת "קרית ספר" בע"מ ירושלים 1987 .

- אוצר ישראל אנציקלופדיה לכל מקצועות תורת ישראל ספרותו

ודברי ימיו בעשרה כרכים ע"י יהודה דוד א"ז ענשטין . בהוצאת

שאפירא ואלנטין ושותפיו . לונדון - 1935 .

- האנציקלופדיה המקראית : אוצר הידיעות שלה המקראות קופתו .

מיסודם של מוסד ביאליק של הסוכנות היהודית לארץ ישראל .

ובית הנכות לעתיקות היהודים : האוניברסיטה העברית ; הוצאת מוסד

ביאליק - ירושלים

- בן יהודה - אליעזר : מלון הלשון העברית הישנה והחדשה . כ ד - ניו

יורק - טומס יוסלוף - לונדון .

ثالثاً - المراجع الألمانية

- Eissfeldt, Otto. Einleitung in das A.T. 4-Auflage.
Unvernderter Nachdruck der 3-Neubearbeiteten Auflage.
(J.C.Mohr, PauLsibeck. Tübingen) 1976.
- Fohrer, Goerge. Einleitung in das A.T. begrudet von Ernst
Sellin. Unbearbeitete und erweiterte Auflage Q&M (Heidelberg)
1979.
- Gesenius, Willhelm. Hebraiches und Aramaiches
Hadwörterbuch über das A.T. Zwölfte Vollig ugearbeitete
Auflage. Vorlag von F.C.W. Vogel (Leipzig) 1895.

